نذير الدم: لعنة السبعة أجيال
أحمد عصام أبو فايد
حلقات قصصية

نذير الدم

(لعنة السبعة أجيال)

أحمد عصام أبوقايد

مقـــدمة

يُقال إن البيوت لا تموت، بل تختبئ خلف أستار الزمان...

تحبس أنفاس ساكنيها القدامى بين جدرانها الباردة...

لكن بيت "الحسيني" في "نجع الغريب" لم يكن مجرد بيتٍ قد احتضر، بل كان رحماً مظلماً ابتلع الأجيال، وأرضاً عطشى ارتوت بدماء الأماني، وبوابةً تنزُّ منها اللعنات القديمة لتشرب من حقول الصمت !

عندما عاد "عمر" ليرث ركام الذكريات وشواهد الأجداد، لم يكن يعلم أن جدران هذا البيت العتيق لا تحمل فقط صور العائلة الباهتة، بل تخفي خلف طينها المتصدع أسراراً تفوق حدود الجن والإنس !

أسراراً عن جدٍّ كان يرتدي قناع الوقار، بينما كان ينسج خيوط الموت ليمسك بخناق الحياة! وعن أمٍّ اختارت الرحيل بصمتٍ مدوٍ، تاركةً خلفها وشمًا أزرق ينبض في عروق ابنها!

وعن كلماتٍ لم تُنطق قط، صارت لعنةً تزحف في دماء "بني الأبكم" الذين ينتظرون أن يصرخ المولود الأول ليعلنوا عن مملكتهم !

منصور، صالح، عزام، وسعير...

أسماءٌ لم تكن مجرد شخصيات في رواية، بل كانت أطيافاً حقيقية تشابكت مصائرها في رقعة شطرنج سحرية، بيد ساحرٍ لم يتجرأ على اللعب بـ "الموت" فحسب، بل تجرأ على العبث بـ "الوجود" نفسه !

فهل يملك عمر الشاب القادم من ضجيج المدن، القوة ليفك طلاسم السنين، وينزع قناع الحقيقة عن وجه الماضي؟

أم أنه سيصبح هو نفسه الوعاء الأخير لعهدٍ قديم، و"البرزخ" الذي يبتلع ضحايا الظلام، ويُسلم روحه لترنيمة الصمت الأبدية في "نجع الغريب"؟

أحمد عصام أبوقايد

إهداء

إلى روح أمي الغالية، كم تمنيت أن تعيشي معي تلك الأوقات المفرحة لتفرحي معي وتعينيني على الأوقات الحزينة لأرتمي في أحضانك وأنسى همومي، رحمك الله وأسكنك فسيح جناته يا قلبي الذي فارقني.

إلى أبي، ظهري وسندي، مثلي الأعلى ومعلمي الأول الذي جعلني أحب اللغة العربية وعلمني النحو والبلاغة والفصحى وإلقاء الشعر والقراءة، أدامك الله لنا عزًا وسندًا وبارك لنا في عمرك وصحتك.

إلى خالي وخالتي، آخر من تبقى لي من عبق عطر أمي، بارك الله لي في أعماركما وصحتكما ودمتما في حياتي نورًا.

إلى زوجتي وحبيبتي وابنتي وقرة عيني التي رزقني بها الله وكانت ولا زالت سندًا وعزًا لي في حياتي، بارك الله لي فيك يا غاليتي وبارك الله لنا في أولادنا (آدم – سحر – تاليا – سيف).

الى أعضاء مجموعة رعب القلم في فيس بوك والذين كانوا هم الداعم الدائم ونواة البداية في مسيرتى .

إلى كل قارئ قرأ لي حرفًا، أهديك كتابي لأنك لا تعلم مدى سعادتي بتحقيقك حلمي في أن يقرأ أحد ما في يوم ما كتاباتي.

أحمد عصام أبوقايد

الحلقة الأولى: عتبة الجحيم

نجع الغريب – بأحد قري صعيد مصر

كان الطريق المؤدي إلى نجع الغريب يبدو وكأنه خيط رفيع يربط بين عالم الأحياء وعالم آخر سقط من ذاكرة الزمن.

"عمر" ذلك الشاب العشرينى الذي لم تعتد عيناه سوى على أضواء القاهرة الصاخبة وزحامها الذي لا يرحم، وجد نفسه الآن محاصراً بصمت مهيب، صمت له وزن، يضغط على صدره كلما توغل بسيارته وسط أشجار النخيل الميتة التي وقفت على جانبي الطريق كحراس مقابر قدامى !

لم يكن "عمر" يؤمن بالخرافات، كان يرى في قصص الجدات عن "النداهة" و"الرصد" مجرد وسيلة لتخويف الأطفال ودفعهم للنوم مبكراً.

لكن...

وبمجرد أن لاحت له مآذن النجع القديمة، شعر بوخز غريب في أسفل جمجمته، إحساس غريزي يخبره أن هناك آلاف العيون تراقبه من وراء النوافذ المحطمة والبيوت الطينية التي نخر فيها السوس !

توقف أمام بيت جده "منصور الحسيني".

البيت كان صرحاً من الحجر الجيري القديم، يرتفع لثلاثة طوابق، لكنه بدا وكأنه يغوص في الأرض بفعل ارتفاع التربة حوله ، أو لعلها ثقل الأسرار التي يحملها.

الجدران كانت مغطاة بطبقة من العفن الأخضر الداكن، والباب الخشبي الضخم كان موصداً بجنازير صدئة، لُفت حولها قطع من القماش الأخضر البالي، وكأنها تميمة بائسة لمنع شيء ما من الخروج.. أو الدخول!

أخرج عمر تلك الخريطة البالية التي تحدد موقع البيت – وكأن هذا المكان بعيد كل البعد عن التطور - وصك الملكية الذي تسلمه من محامي العائلة.

(لماذا الآن؟) سأل نفسه للمرة الألف.

لماذا ترك الجد وصية تمنع فتح هذا البيت إلا بعد مرور عشرين عاماً على وفاته؟!

ولماذا اشترط أن يكون "عمر" تحديداً هو من يتسلمه؟!

وضع المفتاح في القفل الصدئ...

قاوم القفل في البداية، ثم استسلم بصرير حاد مزق سكون القرية...

دفعت الرياح الباب بقوة مفاجئة، وكأن البيت كان يتنفس الصعداء لأنه وجد من يدخله !

رائحة خانقة هاجمت حواس عمر- كانت خليطاً مرعباً من بخور ما ، ورائحة جلد محترق !

خطا خطوته الأولى داخل مندرة البيت – كعادة بيوت الصعيد لابد أن يكون للبيت مندرة لأستقبال الضيوف - كانت الأرضية مغطاة بطبقة كثيفة من التراب !

لكن الغريب هو وجود آثار أقدام صغيرة جداً، لا تشبه أقدام البشر!

كانت تشبه قوائم الماعز، تبدأ من منتصف المندرة وتنتهي عند الحائط المسدود !

(هل هناك من يعيش هنا؟) همس بها عمر بصوت مرتعش.

حينها لم يأتِ الرد بصوت، بل بحركة فجائية في الظلام !

ستارة ممزقة طارت في الهواء رغم انعدام الهواء داخل المندرة !

خرج عمر من المندرة وصعد إلى الطابق الثاني، حيث تقع غرفة جده الخاصة.

كانت الغرفة لا تزال كما هي عندما رأها وهو صغير ، سرير نحاسي ضخم، وخزانة كتب تمتد من الأرض للسقف.

والمكتب العتيق الكبير، كان عليه كتاباً مفتوحاً، صفحاته صفراء هشة، مكتوب بمداد أحمر غريب لا يبدو حبراً عادياً.

فبدأ يقرأ المكتوب بصعوبة:

(من طرق بابنا بالدم، لا يخرج إلا بالدم.. العهد قائم ما دام النسل مستمراً.. والسابعة هي القربان الأخير.)

وما أن أنتهى عمر من القراءة حتى بدأت جدران الغرفة تفرز سائل أسود لزج بدأ ينضح من المسام الحجرية، وفي الزوايا الأربع للغرفة !

وبدأت تظهر ظلال طويلة تتمدد وتتقلص كأنها كائنات حية !

شعر عمر ببرودة مفاجئة في أطرافه...

برودة تجمد الروح قبل الجسد...

ثم سمع صوت همس يأتي من خلف أذنيه مباشرة، صوت أجش، متقطع، كأنه يخرج من حنجرة مليئة بالرمل:

(لقد تأخرت يا حفيد منصور.. الضيوف في الأسفل جياع، وأنت المأدبة.)

التفت عمر بذعر، لكنه لم يجد أحداً !

حاول الركض نحو الباب، لكنه وجد الأرضية قد تحولت إلى ما يشبه المستنقع الأسود!

ومن تحت السرير النحاسي، خرج شيء يزاحف !

لم يكن جنياً كما تصوره الأفلام التي نشاهدها في السينيمات ، بل كان كياناً مشوهاً، جسده عارٍ تماماً وناحل لدرجة ظهور العظام، جلده لونه أزرق باهت كأنه جثة غرقت منذ أيام، وعيناه.. لم يكن لها بياض، كانت حدقتان سوداوان واسعتان تبتلعان الضوء !

كان الكيان يمسك في يده "مبخرة" فخارية تنبعث منها أدخنة زرقاء، وبدأ يدور حول عمر الذى تقيدت قدماه بأرضية الغرفة في دوائر ضيقة وهو يغمغم:

(باسم الذي أقام السبعة.. وباسم الذي سكن القفار.. نفتح اليوم باب الثأر.. حفيد الساحر عاد للدار.)

حاول عمر الصراخ، لكنه اكتشف أن صوته قد سُرق !

فتح فمه، لكن لم يخرج سوى هواء بارد !

سقط على ركبتيه بينما بدأت أشباح تظهر وتحيط به وتتجسد !

كانت لأشخاص يرتدون ملابس ريفية قديمة، لكن وجوههم كانت ممسوحة، بلا عيون ولا أفواه، يمدون أيديهم المليئة بالقروح ليلمسوا جسده !

في تلك اللحظة ...

لاحظ عمر شيئاً مرعباً على مرآة الغرفة الكبيرة...

لم يكن يرى انعكاسه هو، بل كان يرى جده "منصور" وهو يجلس على كرسي هزاز، وخلفه يقف كائن ضخم بقرون ملتوية يضع يده على كتفه !

في المرآة كان جده ينظر إليه بأسى ويحرك شفتيه بكلمة واحدة: (اهرب!)

فجأة تحررت قدميه فأندفع عمر بكل قوته نحو النافذة، حطم الزجاج بيده التي بدأت تنزف بغزارة.

وبمجرد أن سقطت قطرات دمه على الأرض، حدث زلزال مكتوم في أركان البيت.

وأرتفعت صرخة جماعية من كل الزوايا، صرخة لا تحتملها أذن بشرية!

لم يقفز عمر من النافذة كما خطط ، بل وجد نفسه ينجذب بقوة مغناطيسية نحو قبو البيت !

فنزل على السلم الخشبي الذى كان ينهار تحت قدميه ...

الظلام في الأسفل كان ينبض.. نعم كان الظلام له قلب ينبض وصوت أنفاس ثقيلة !

وصل إلى القبو، وهناك بالتحديد فى وسط القبو، رأى دائرة مرسومة بالملح والدم، وفي مركزها كان هناك صندوق صغير من الأبنوس، ينبعث منه ضوء أخضر شاحب !

كان الصندوق يهتز بعنف، وكأن هناك "روحاً" تحاول تكسير الخشب والخروج منه!

فجأة...

انطفأت كل الأنوار، وساد صمت قاتل..

صمت لم يقطعه إلا صوت "طقطقة" أصابع تقترب منه من الخلف !

وصوت أنثوي ناعم جداً ومرعب جداً يهمس:

(أهلاً بك في بيتك يا عمر.. هل أحضرت معك المفتاح؟ ليس مفتاح الباب.. بل مفتاح قلبك؟)

وبعدها مباشرة شعر عمر بظفر طويل يشق قميصه من الخلف ويرسم علامة (+) على ظهره !

وفي تلك اللحظة...

فقد وعيه، ليبدأ الكابوس الحقيقي الذي لم يكن إلا مجرد مقدمة !

الحلقة الثانية: ميراث الدم

لم يستفق عمر على صوت العصافير أو ضوء الشمس...

بل استفاق على لسعة صقيع حادة تنخر في عظام ظهره، حيث رسم ذلك الكيان الأنثوي علامته!

فتح عينيه ليجد نفسه لا يزال ممدداً على أرضية القبو الرطبة، لكن المكان لم يكن كما تركه !

كانت الجدران مغطاة الآن بخيوط عنكبوتية كثيفة!

لكنها لم تكن خيوطاً عادية، بل كانت تشبه خريطة الأوعية الدموية النابضة، لونها مائل للأرجواني وتتحرك ببطء كأنها تسحب أنفاس المكان !

ورائحة تشبه رائحة "كبريت" نفاذة تجعل الصدر يضيق !

حاول عمر النهوض، فشعر بثقل غريب في جيبه.

مد يده ليرى ما هناك، فاستخرج "صندوق الأبنوس" الذي رآه قبل أن يفقد وعيه.

كان الصندوق بارداً كالجليد، ومحفوراً على غطائه صورة عين مفتوحة ، بؤبؤها ليس مستديراً بل على شكل شق رأسي كأعين الزواحف !

(لا تفتحه.. إن فتحته فقد أعطيتهم الإذن بصياغة جسدك من جديد.) - جاء الصوت من الزاوية المظلمة للقبو.

انتفض عمر وهو يحاول إشعال كشاف هاتفه، لكن الشاشة كانت مشوشة تظهر عليها خطوط سوداء وبيضاء كأنها تستقبل إشارات من عالم آخر!

وجه ضوء الهاتف نحو مصدر الصوت، ليرى رجلاً عجوزاً يجلس القرفصاء !

كان يرتدي ملابس رثة، وجلده شاحب لدرجة الشفافية، لدرجة أن عمر استطاع رؤية العروق الزرقاء تحت وجنتيه !

(من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟) - سأله عمر بصوت متهدج.

أجاب العجوز دون أن يرمش:

(أنا الشيخ صابر.. كنتُ خادماً لجدك منصور، أو بالأحرى، كنتُ الشاهد على بيعه لآخر قطعة من روحه... يا بني هذا البيت ليس جدراناً وسقفاً، هذا البيت (رَحِم) لنسل لم تنجبه البشرية!)

اقترب الشيخ صابر بصعوبة من عمر، وبدت مشيته غريبة كأن قدميه لا تلمسان الأرض تماماً!

ثم قال :

(جدك منصور كان يعاني من العقم، وفي لحظة يأس، طرق باب (بني الأبكم)...

وهم قبيلة من الجن لا يتحدثون بالألسنة، بل بالإشارات والدم...

أعطوه الذرية، لكنهم اشترطوا أن يكون الحفيد الثالث هو (الوعاء) الذي سيعودون من خلاله لعالمنا...

وأنت يا عمر.. لست مجرد وارث، أنت القربان والجلاد في آن واحد.)

(فلاش باك)

فجأة...

غامت الرؤية أمام عمر...

وبدأ يرى مشهداً من الماضي كأنه يعيشه الآن !

رأى جده منصور قبل ستين عاماً، كان شاباً قوياً يقف في نفس هذا القبو، وأمامه امرأة غريبة الأطوار!

شعرها طويل جداً يزحف خلفها كالأفاعي، ووجهها مغطى ببرقع أسود شفاف يظهر من تحته جلد محرشف كجلد السمك !

كانت المرأة تمسك بسكين من العظم، وتجرح كف منصور، ثم تقطر الدم داخل هذا الصندوق الأبنوسي وهي تتمتم بكلمات تساقطت معها قطع من سقف القبو!

كانت تقول:

(بدمك نشتري، وبنسلك نعود، الأرض وما بينها وبين السماء ملك لمولانا (أبا ميسور).)

ثم رأى عمر جده يسقط صارخاً بينما كانت هناك ظلال تخرج من الصندوق وتدخل في جسده من خلال جرح يده.

في تلك اللحظة...

التفتت المرأة ذات البرقع نحو عمر - الذي يشاهد الرؤية الأن وكأنه معهم في الأحداث ! - وأشارت بإصبعها الطويل نحوه وقالت بصوت صدى صوته لا يزال يتردد في أذنه:

(لقد رأيتَ ما لا يجب رؤيته.. والآن الرؤية تقتضي ضريبة.)

(عودة للواقع)

عاد عمر لوعيه ليجد نفسه يتقيأ سائلاً أسودا لزجاً !

والشيخ صابر كان قد اختفى !

لكن في مكانه كان هناك كومة من الدود الأبيض الصغير تزحف باتجاهه !

صعد عمر السلالم المتهالكة وهو يلهث حتى وصل للصالة الرئيسية ليجد أن الوقت قد صار فجراً !

لكن شمس الصباح لم تكن ذهبية كالمعتاد، بل كانت بلون النحاس المحروق !

نظر إلى المرأة مرة أخرى، فصرخ صرخة مكتومة !

لم تكن علامة (+) التي رُسمت على ظهره مجرد جرح...

بل بدأت تبرز من تحت جلده نتوءات صلبة، وكأن هناك عظاماً جديدة تنمو في جسده بشكل غير طبيعي!

والجلد حول العلامة أصبح أسوداً، وبدأت تنبت منه شعيرات خشنة تشبه أشواك القنافذ!

حينها ...

قرر عمر الهرب من البيت مهما كلفه الأمر...

فأتجه للباب الرئيسي وحاول دفعه، لكنه كان كالحائط الخرساني !

في تلك اللحظة ...

تحطم زجاج النوافذ فجأة، وبدأت مئات العقارب السوداء الصغيرة تتدفق من الشقوق!

لم تكن عقارباً عادية مثل التي نعرفها ، بل كانت لها وجوه بشرية صغيرة جداً تصرخ بأصوات رفيعة!

وفي وسط هذا الرعب...

سمع عمر صوت "طرق" منتظم يأتي من الطابق العلوي...

ثم نداء ناعم بنفس الصوت الأنثوي الذي سمعه قبل غيابه عن الوعي يقول :

(عمر.. تعال إليّ.. لماذا تخاف من أمك؟)

تجمدت أطراف عمر...

(أمي؟! ... كيف؟!... أمي ماتت وأنا طفل!) - قالها بصوت مرعوب ومتوتر.

لكن الصوت استمر وكأنه يقرأ أفكاره قائلا :

(لقد كذبوا عليك.. قالوا ماتت ليريحوك، لكن الحقيقة أنني كنتُ هنا.. في جدران هذا البيت.. أنتظرك لتكبر.. وتعيدني للحياة.)

بدأ عمر يشعر بقوة خفية تسحبه من قدميه نحو السلم!

وكانت العقارب تفسح له الطريق على الجانبين وكأنها تؤدي ممر شرفى له !

وفي أعلى السلم...

رأى طيفاً لامرأة ترتدي فستان زفاف أبيض!

لكن الفستان كان ملطخاً بطين يشبه طين القبور!

ووجهها كان عبارة عن (فراغ) أسود تماماً لا ملامح فيه!

ويمتد من كتفيها يدان طولهما يصل للأرض !

فقالت وهي تفتح ذراعيها لعمر :

(افتح الصندوق يا عمر.. افتحه لنجتمع من جديد.)

الحلقة الثالثة: فقه الدماء !

وقف عمر على درجات السلم الخشبي جسده يرتجف كأنما أصابته حمى الموت!

والمرأة التي تدعي أنها أمه تقف في نهاية الرواق جسدها يتمايل يميناً ويساراً بحركة ميكانيكية غير بشرية كأنها دُمية تُحركها خيوط غير مرئية!

والهواء حولها كان ثقيلاً مشحوناً برائحة (البارود والزعفران)!

(أمي ليست هنا.. أنتِ كاذبة!) - صرخ بها عمر...

لكن صوته ارتد إليه بصدى موحش، وكأن الجدران نفسها تضحك عليه!

فتحت المرآة المرعبة ذراعيها أكثر فبرزت من تحت جلد يديها الطويلتين أظافر سوداء مدببة وقالت بصوت يجمع بين حنين مصطنع والفحيح :

(الدم لا يكذب يا ولدي.. انظر إلى يدك ألا تشعر بنبضنا المشترك؟)

فنظر عمر إلى كفه على الفور، فصعق حين رأى عروقه قد تحولت إلى اللون الأسود القاتم، وهي تنتفخ وتهبط بانتظام غريب، ليس مع ضربات قلبه هو بل مع نبضات يسمع صوتها قادمة من صندوق الأبنوس الذي لا يزال يقبض عليه بيده الأخرى وكأنه جزء من جسده !

وبينما عمر كان يصارع جاذبية الكائن لعقله...

انفتح باب الغرفة المجاورة بقوة، وخرجت منه ريح باردة دفعت عمر ليسقط داخل الغرفة!

وكانت تلك الغرفة بالذات هى (خلوة) جده منصور...

الغرفة التي لم يدخلها أحد قط...

بمجرد دخوله انغلق الباب خلفه، وانقطع صوت المرأة تماماً وحلّ محله صمت مطبق ومريح بشكل مريب!

الغرفة كانت مربعة الشكل، جدرانها مغطاة بالكامل بجلود حيوانات مجهولة!

محفور عليها كلمات وحروف غريبة تشبه الطلاسم لها لون ذهبي باهت.

وفي منتصف الغرفة كان هناك اناء نحاسي كبير مملوء بسائل شفاف، وفي قاعه كانت تقبع (جمجمة) بشرية صغيرة جداً، يبدو أنها لطفل لم يكتمل نموه !

وعلى رف قديم كان مثبتا بالغرفة وجد عمر (مذكرات) الجد منصور...

كانت الكلمات مكتوبة بخط يرتجف، وكأن من يكتبها كان يصارع الموت فقرأ بأحدى صفحاتها :

(اليوم السابع من شهر كياك.. لقد أخطأت...

كنت أظن أن (بني الأبكم) يطلبون القربان ليأكلوه !

لكنهم يطلبونه ليسكنوه!

هم قبيلة بلا أجساد، يشتهون لمس المادة، ورؤية النور عبر أعيننا.

لقد عقدتُ العهد مع (أبا ميسور)، والشرط كان أن يظل النسل قائماً، فإذا انقطع النسل، أو حاول أحد الأحفاد فك العهد، سيتحول البيت إلى (مذبح) لا يغادر منه أحدا.)

وبينما كان عمر يقرأ، سمع صوتاً قوياً يأتي من خلف النافذة المحطمة!

لم يكن همساً هذه المرة، بل كان صوتاً جهوراً يتلو آيات من القرآن الكريم ثم أنتهى من القرءة وردد كلمات لم يسمعها عمر من قبل، لكنها كانت تتسم بنبرة آمرة وتقول :

(يا سُكّان العمق، يا من لا لسان لهم، كفّوا أيديكم عن ذي الروح، العهد باطل بما حُمل من غدر!)

تحرك عمر بحذر نحو النافذة ونظر منها ليرى رجلاً يقف في باحة البيت.

كان يرتدي عباءة بنية بسيطة، وفي يده عصا من خشب الزيتون، وعلى وجهه ندوب قديمة تشبه علامات الحروق !

(من أنت؟) - صاح بها عمر بيأس.

(أنا الشيخ هارون .. أنا من نذرتُ عمري لملاحقة ما تركه جدك وراءه ! ...

لا تفتح الصندوق يا عمر! ... الصندوق يحوي (اللسان) ...

لسان قبيلة الأبكم... إذا وضعته في فمك، سيتكلمون بك، وسيصبح جسدك ملكاً لهم !)

وفى نفس الوقت ...

تجاهل الكيان الذي كان في الممر تحذيرات الشيخ هارون...

فبدأ الباب يهتز بعنف مرعب، وبدأت الأظافر السوداء تخترق خشب الباب الصلب.

(عمر.. افتح الصندوق.. لا تستمع لهذا الدجال.. أنا عائلتك الوحيدة.. أنا أصلك الحقيقي !)

حينها ...

وجد عمر نفسه منساقاً بقوة تفوق إرادته!

وأصابعه بدأت تتحرك من تلقاء نفسها نحو قفل الصندوق !

كان القفل عبارة عن (سن بشري) حقيقي مغروس في الأبنوس !

ضغط بابهامه على السن، فغرزت في لحمه، وامتصت قطرة من دمه.

ثم ...

انفتح الصندوق...

لم يجد فيه ذهباً ولا سحراً ...

بل وجد قطعة من اللحم الأسود النابض، تشبه اللسان البشري لكنها مغطاة بأشواك دقيقة!

وكانت تفرز مادة لزجة لها رائحة (الياسمين المحترق) !

وبمجرد انفتاح الصندوق...

شعر وكأن المكان من حوله قد صرخ !

واهتزت الجدران، وظهرت على جبهة عمر علامة سوداء تشبه "العين الثالثة"!

وبدأ يشعر برغبة عارمة في ابتلاع تلك القطعة السوداء من اللحم !

اندفع الشيخ هارون نحو الباب الرئيسي للبيت محاولاً كسره وهو يصيح:

(انطق ما يمليه عليك قلبك يا عمر! ... لا تترك لهم لسانك! !

فإن نطقوا بك، فُتحت بوابة نجع الغريب على الجحيم!)

لكن الكائن الذي كان خلف الباب تحول فجأة إلى دخان أسود!

وتسلل من تحت عقب الباب ليدخل الغرفة على عمر...

ثم تجسد الدخان ليشكل هيئة تلك المرأة مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت عيناها مفتوحتين..

عيناها فراغان أبيضان ينبعث منهما برودة تجمد الأنفاس !

رفعت يدها وأمسكت بفك عمر بقوة هائلة...

وبدأت تقرب "اللسان الأسود" من فمه وهي تهمس:

(قُل أبا ميسور.. قُلها لتتحرر من بشريتك الضعيفة.)

في تلك اللحظة...

شعر عمر بروح جده منصور في الغرفة!

لم تكن تحاول إنقاذه، بل كانت تصرخ من الألم، وكأن الجد نفسه صار جزءاً من وقود هذا المكان!

فأدرك عمر حينها أن الهرب لم يعد خياراً، وأن عليه أن يختار...

إما أن يهرب أو يصبح يسكن جسده تلك الوحوش !

الحلقة الرابعة: صمت القبور

كانت أصابع الكائن الأنثوي تضغط على فكي "عمر" بقوة تجعل عظام جمجمته تصدر طقطقة منذرِة بالتهشم !

اللسان الأسود النابض في الصندوق كان يقترب من فمه، وكأنه مغناطيس ينجذب إلى معدن !

في تلك اللحظة...

لم يكن عمر يرى غرفة جده، بل بدأ يرى عالم الآخر!

رأى نجع الغريب ليس كبيوت طينية، بل كأضرحة ضخمة يسكنها كائنات بظهور منحنية...

تمشي على أطرافها الأربعة، وتتواصل فيما بينها بهزات جسدية عنيفة دون نبسة صراخ واحدة !

(لا تستسلم يا عمر! ... إن سكن اللسانُ جوفك، صرتَ باباً لا يُغلق!) - كان صوت الشيخ هارون من الخارج يشق الضجيج الروحي الذي يملأ المكان.

بدأ هارون يضرب بعصاه خشب الباب الرئيسي، ومع كل ضربة كانت تسقط قطعة من جلد الكائن الأنثوى وتتحول إلى رماد محترق !

صرخت الكائن صرخة صامتة ، فأنفتحت فجوة سوداء في وجهها حيث يجب أن يكون الفم، وانبعثت منها موجة ارتدادية قذفت بعمر نحو الاينـاء النحاسي في منتصف الغرفة.

سقط عمر داخل السائل الشفاف، وبمجرد ملامسته للماء توقف الزمن مرة آخرى ...

رأى عمر في قاع الاينـاء وجهاً يشبه وجهه تماماً، لكنه كان مغطى بالحراشف.

تراءت له صور من تاريخ "بني الأبكم" !

بقايا قبيلة نُفيت من ممالك الجن السفلي لأنهم حاولوا سرقة "سر النطق" من البشر !

فعاقبهم ملكهم بقطع ألسنتهم ونفيهم إلى "البرزخ المظلم"...

ولكي يعودوا، يحتاجون إلى جسد بشري ، ليستخدموه كـ "وعاء" يطلقون من خلاله لعناتهم التي ستُنهي صمتهم الأزلي !

فجأة ...

تحطم الباب الرئيسي أخيراً...

اندفع الشيخ هارون إلى الداخل، كان يحمل في يده بخوراً أحمر ينبعث منه دخان كثيف يميل للزرقة.

وبمجرد دخول الدخان إلى الغرفة، بدأت هيئة الكائن الأنثوى تتلاشى وتتقطع كدخان في مهب الريح، وهي تتلوى بألم وتصدر أصواتاً تشبه احتكاك الصخور ببعضها.

(عمر! ... اخرج من الايناء فوراً! ، هذا ليس ماءً عاديا ، هذا السائل (دموع الموتى)، سيسحب روحك إلى الأسفل!)

مد هارون عصاه لعمر وجذبه بقوة...

خرج عمر وهو يلهث، وجسده مغطى بمادة لزجة تفوح منها رائحة الياسمين العفنة !

(أين الصندوق؟) - سأله هارون بلهفة.

أشار عمر بيده المرتعشة إلى الأرض وقال :

(لقد سقط.. لكن اللسان.. اللسان تحرك من تلقاء نفسه!)

نظر هارون إلى الأرض بذعر فرأى الصندوق ...

لكنه كان فارغاً، واللسان الأسود كان يزحف كالأفعى على الجدران، متجهاً نحو الطابق الثالث، حيث غرفة مغلقة.

فقال هارون وهو يمسك بكتفي عمر ويهزه بقوة:

(اسمعني جيداً يا بني ، ذلك الكائن الذى قابلته لم تكن أماً لك قط ، لكنها (خادمة العهد) وتدعى (سعير)، والآن اللسان يبحث عن (الجسد الأصلي).. جثة جدك منصور !

فهم لم يدفنوه في مقابر النجع، بل دفنوه هنا تحت هذا البيت ليكون جسده جسراً ومعبرا لا ينقطع.)

حينها ...

وتحت الايناء النحاسي بالضبط ، بدأت الأرضية تتشقق لتكشف عن سلم حجري ضيق ينحدر إلى أعماق سحيقة !

وكانت الجدران على جانبي ذلك السلم مرصعة بـ "أسنان بشرية" حقيقية !

(يجب أن ننزل ونحرق الجثة قبل أن يصل اللسان إليها...

فإذا اتحد اللسان بالجثة في هذا المكان المشحون، سيتحول الجد منصور إلى (ناطق) باسم أبا ميسور، وعندها ستبدأ المجزرة.) – قالها الشيخ هارون لعمر الذى يقف مشدوها أمام ذلك السلم وتلك الأسنان البشرية ...

نزلا إلى السرداب في حذر ...

الرطوبة كانت تخنق الأنفاس، وصوت نقر على الجدران كان يزداد بقوة !

وفي نهاية السرداب، وصلا إلى غرفة واسعة دائرية في مركزها تابوت من الحجر الجيري مغطى بآلاف العقارب البيضاء التي تجمعت لتكون ما يشبه الكفن فوقه !

وفوق التابوت ...

تجسدت "سعير" مرة أخرى، لكنها الآن كانت أضخم وأطرافها أكثر طولاً وكانت تمسك باللسان الأسود وترفعه عالياً !

نظرت إليهما بعينين تشعان بضوء أخضر غريب وقالت بصوت هذه المرة سُمِع بوضوح في عقليهما:

(لقد جئتم في الوقت المناسب..

الجسد يحتاج إلى (دم حي) ليتقبل اللسان الميت...

عمر.. أنت هو المفتاح الأخير.)

فجأة ...

تحركت الجدران، وانطلقت مئات الأياد الشاحبة من بين الشقوق لتمسك بالشيخ هارون وتثبته في مكانه !

بينما كانت سعير تقترب من عمر وهي تفتح التابوت الحجري، حيث ظهرت جثة الجد منصور..

الجثة لم تتحلل !!

بل كانت جافة كالمومياء، وفمها مفتوح على وسعه، بانتظار اللسان !

الحلقة الخامسة: طقوس الحلول

حينها شعر "عمر" وكأن السرداب يضيق بجدرانه عليه وعلى الشيخ "هارون" !

والعقارب البيضاء التي كانت تغطي تابوت الجد منصور بدأت تتساقط وتتحول إلى سائل أبيض لزج !

وفي مركز الغرفة كانت "سعير" تقف بهيئتها المشوهة وترفع "اللسان الأسود" الذي كان يتلوى بين أصابعها الطويلة كأنه كائن حي يبحث عن مستقره !

(عمر.. انظر إلى جدك) - فحيح سعير اخترق أذنه- ثم أردفت قائلة :

(لقد انتظر عشرين عاماً في هذا الظلام، ألا يستحق منك لمسة رحمة؟

ضع اللسان في فمه.. حرره ليتحرر نسلك من اللعنة.)

في نفس الوقت ...

كان الشيخ هارون يتلوى بين الأيدي الشاحبة التي خرجت من الجدران، لكنه لم يتوقف عن التمتمة.

فجأة وبحركة انتحارية غرز هارون عصاه في كف يده هو، وسال دمه على الأرضية المرصعة بالأسنان.

ثم صاح هارون بصوت زلزل السرداب قائلا:

(دمٌ بدم، وروحٌ بروح.. يا خُدام العهد الباطل، الدم الحرُّ يُبطل عقد العبيد!)

فجأة ...

اشتعلت النيران في الموضع الذى سالت فيه دماء هارون ...

نيران زرقاء باردة لا تحرق الجسد بل تحرق "الخدام من الجان".

صرخت الأيدي التي تمسكه وتراجعت داخل الشقوق، واندفع هارون نحو عمر وجذبه بعيداً عن حافة التابوت.

(لا تصدقها يا عمر! .. الجد منصور لم يمت أصلاً..

إنه في حالة (برزخ) - محبوس بين الحياة والموت ليكون بوابة - إذا وضع اللسان في فمه سيعود منصور لكن ليس بروحه نفسها، بل بوعي (أبا ميسور) نفسه!)

حينها ...

وبمجرد نطق الشيخ هارون لاسم "أبا ميسور" ساد صمت مطبق ...

صمت مؤلم لدرجة أن أذني عمر بدأت تنزفان !

وانطفأت كل الشموع وحتى النيران الزرقاء التي أشتعلت في دماء الشيخ هارون ...

وظهر في وسط الظلام كيان لم يرَ عمر له مثيلاً !

كيان لم يكن له شكل ثابت !

كان عبارة عن كتلة من الدخان الأسود المتجسد، يبرز منها آلاف الوجوه البشرية التي تفتح أفواهها وتغلقها دون صوت !

وفي مركز هذه الكتلة، كانت هناك "عين واحدة" ضخمة، بؤبؤها ليس إلا ثقباً أسودا يمتص كل ذرة نور في المكان.

(هذا هو "أبا ميسور" ملك قبيلة بنى الأبكم) – قالها الشيخ هارون

لم يتحدث أباميسور، ولم يحاول حتى التواصل مع أي منهما ، بل أرسل موجة من الحزن والغضب والشهوة لقلب عمر، جعلته يسقط على ركبتيه ويبكي بدموع دموية !

أما سعير خادمة العهد فقد انحنت أمام الكيان، وقدمت له اللسان الأسود.

فتحركت كتلة الدخان – تجسد أبا ميسور - واقتربت من التابوت ...

فبدأت الجثة الجافة للجد منصور ترتفع في الهواء وكأنها تُسحب بخيوط غير مرئية !

(هارون !.. ماذا نفعل؟) - صرخ بها عمر وهو يرى اللسان يقترب من فم جده.

فرد هارون الذي كان يزداد شحوباً وهو يلهث باعياء :

(هناك وسيلة واحدة.. اللسان لا يستقر إلا في (وعاء) من نفس السلالة...

يجب أن يتم تدمير الجثة بالملح المسجور والحديد، أو .....)

صمت الشيخ هارون للحظات مرت على عمر كسنون وهو يشعر بالتوتر والقلق ...

ثم أردف الشيخ هارون قائلا :

(أو أن يقبل أحد الورثة أن يأخذ اللسان في فمه هو.. ويغلق فمه للأبد بالصمت المقدس.)

فنظر عمر إلى جثّة جده التي بدأت عيونها تنفتح لتكشف عن بياض مخيف، ثم نظر إلى الشيخ هارون الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد تضحيته بدمه.

أدرك عمر حينها أن "بني الأبكم" بجميع الأحوال لن يرحموه ، وأن النجاة الوحيدة هي المواجهة.

فجأة ...

اندفع عمر نحو التابوت، وبدلاً من الهرب أمسك بالصندوق الأبنوسي وهوى به فوق رأس "سعير".

صرخت سعير صرخة مزقت جدران السرداب، وبدأ البيت كله يهتز وكأنه يسقط في بئر لا قاع له !

في تلك اللحظة...

تحول اللسان الأسود إلى سائل وتدفق بسرعة البرق نحو فم الجد منصور.

لكن وقبل أن ينغلق الفم، وضع الشيخ هارون يده الملطخة بالدم داخل فم الجثة بسرعة ، ليعترض طريق اللسان.

فدوى انفجار من طاقة غامضة مظلمة فجأة قذف بعمر إلى خارج السرداب، ليجد نفسه مرة أخرى في "المندرة" بالطابق الأرضي والبيت من حوله يشتعل بنيران سوداء لا تترك رماداً !

فجأة...

سمع عمر صوتاً يأتيه من تحت الأرض!

صوتاً لم يكن لسعير ولا لهارون، بل كان صوت جده منصورنفسه !

ويقول بوضوح:

(هربتَ من السرداب أيها الحفيد، لكنك لم تهرب من العهد..

اللسان الآن في مكان لا يمكنك الوصول إليه، والمجزرة ستبدأ مع أول صرخة لأول مولود في هذا النجع.)

فجأة شعر عمر بألم شديد في رقبته وكأنها تحترق!

فتحسس عمر رقبته، ليجد أن علامة (+) التي كانت على ظهره قد انتقلت الآن إلى حنجرته، وأنه كلما حاول النطق، شعر بأشواك تنبت في لسانه تمنعه من الكلام !

لقد أصبح عمر الآن "أبكماً" مثلهم !

ثم....

سقط فاقدا الوعى !

الحلقة السادسة: أجراس الصمت

استفاق "عمر" مع خيوط الفجر الأولى...

لكنه لم يستفق في بيت الجد، بل وجد نفسه ملقىً في باحة النجع العامة!

وبالتحديد بجانب بئر قديمة جفت مياهها منذ عقود.

حاول الصراخ طلباً للنجدة...

حاول أن ينادي على أي عابر سبيل...

لكنه اكتشف للتو الرعب الحقيقي ، فكلما حاول إخراج حرف واحد، كانت حنجرته تتقلص بعنف وكأن حلقه مقبوض بقبضة حديدية، وشعر بمذاق "النحاس والصدأ" يملأ فمه !

وضع يده على رقبته...

تحسس مكان العلامة (+)، فوجد الجلد قد صار صلباً كالخشب!

لقد نجح "بنو الأبكم" للتو في تنفيذ جزء من خطتهم ، لقد سرقوا "صوته" !

وهو الآن يرى ... يسمع ... ويشعر..

لكنه لا يستطيع التحذير!

هو الآن مجرد شاهد أخرس على الكارثة التي ستحل على الجميع لا محالة !

نهض عمر متثاقلاً بأثقال الألم والإحباط ...

وجال ببصره في النجع...

كانت القرية تبدو هادئة، لكنه هدوء يشبه صمت القبور.

لاحظ شيئاً لم يره من قبل ، فكل البيوت المحيطة ببيت جده كانت نوافذها مغطاة بـ "الطين الأسود"!

وكأن أهل النجع يحاولون حجب الرؤية عن شيء ما.

وفجأة...

رأى طفلاً صغيراً يجلس أمام أحد البيوت، يمسك بقطعة من الفحم ويرسم على الأرض.

اقترب عمر منه، ليرتعد جسده على الفور حين رأى ما يرسمه الطفل!

لقد كان يرسم "كتلة من الدخان لها عين واحدة"..

كان يرسم "أبا ميسور" !

نظر الطفل إلى عمر...

لكن لم تكن النظرة في عينيه تحمل براءة الأطفال !

بل كان فيهما جمود الموتى !

فجأة...

حدث ما هو أكثر رعبا من كل ما مضي ...

لقد فتح الطفل فمه ولم يخرج منه صوت، بل خرجت منه "فراشة سوداء" ميتة سقطت على الأرض وتفتتت كأنها رماد !

لحظات مرت شعر عمر فيها وكأن قدماه قد تم تثبيتهما بالأرض.. لا يستطيع التحرك !

ثم...

تذكر شيئا مهما ...

تذكر أن الشيخ هارون قبل أن يختفي في انفجار السرداب، كان يحمل حقيبة جلدية صغيرة.

بحث عنها عمر كالمجنون في الأرجاء حتى وجدها آخيرا ملقاة تحت تلك الشجرة العتيقة بالقرب من البيت.

فتحها بيدين ترتجفان، ليجد بداخلها أوراقاً صفراء مبعثرة، وزجاجة صغيرة تحتوي على "تراب أحمر".

شعر بأن تلك الأوراق غريبة الشكل بالتأكيد ستحتوى على أي طرف خيط ...

فقرأ في إحدى تلك الأوراق :

(إذا سكتَ الحفيد ، نطقَ الحجر... بنو الأبكم لا يسكنون الأجساد فقط، بل يسكنون حتى الصدى...

فهم يقتاتون على الأصوات التي لم تُنطق بعد...

ولعلاج لعنة الصمت، يجب العثور أولا على بئر القربان في وسط النجع، وهناك يجب سكب دم من سلالة الظالم لإرواء عطش الأرض.)

بدء عقل عمر يترجم فحوى الرسالة بعقله...

وفهم أنه هو القربان وهو الحل...

لكن...

مهلا !!

هنالك ملحوظة آخيرة في مزيلة الورقة...

أو بالأحرى هي تحذير !

مكتوب :

(احذر من سعير، فهي ليست روحاً هائمة أو مجرد كيان عادى، بل هي (العروس السوداء) التي وُلدت من رحم الربط الأسود.)

بينما هو غارق في الأوراق...

فجأة !!!

حاصره مجموعة من رجال النجع.

مشهد غريب تعجب له عمر شدة العجب !!

فلم يكونوا يحملون سلاحاً، بل كانوا يحملون "مباخر" يخرج منها دخان ثقيل يسبب الدوار !

ويتقدمهم رجل عجوز، تبدو عليه مهابة زائفة،ما ان اقترب من عمر حتى ناداه باسمه:

(عمر الحسيني.. لقد عدت لتكمل ما بدأه جدك !

نحن انتظرنا هذه اللحظة طويلاً...

فالنجع قد جاع والأرض عطشت، والعهد لا يكتمل إلا بـ وليمة الصمت.)

لم يفهم عمر معظم ما قاله ذلك الرجل ، لكن واضح من لهجة الرجل الصدامية أنه بالتأكيد هو الوليمة التي يقصدها !!

حاول عمر الهرب، لكنه شعر بجسده يتصلب مرة أخرى !

وفجأة...

ظهرت "سعير" من خلف الرجال...

كانت تبدو ولأول مرة أكثر بشريّة ، ترتدي ثوباً ريفياً أسود، لكن عينيها كانتا لا تزالان فراغين من الظلام.

اقتربت منه وهمست في أذنه ببرودة وقالت :

(هل تظن أن هارون كان يحميك؟ ... هارون كان يريد قتلك ليغلق البوابة! ، أما أنا فأريد خلودك !

تعال معي يا عمر، فالليلة سيسقط أول صرخة لمولود، وسنرى من سيسرقها أولاً !)

وما ان انتهت سعير من حديثها حتى قام هذا الجمع بسحب عمر إلى داخل بيت جده مرة أخرى، لكن هذه المرة إلى الطابق الثالث، حيث غرفة مغلقة واضح عليها أنها لم تفتح منذ سنون !

وبداخل الغرفة كان هناك مهد قديم يهتز من تلقاء نفسه !

وبجانب المهد، كانت هناك امرأة من النجع في حالة مخاض!

لكنها كانت تخوض مخاضاً مرعباً!

لم تكن تصرخ مجرد صراخ ، بل كانت تفتح فمها وكأنها تصرخ، لكن ...

لا صوت يخرج !!

بينما كانت جدران تصدر أصواتا تشبه الضحك وكأنها تسخر من صراخها الخفي المكتوم !!

حينها...

ومع كل تقلص كانت تشعر به المرأة، كان عمر يشعر بألم رهيب في رقبته !

وبالتحديد في موضع علامة (+) في حنجرته ، لقد كانت تلتهب وتنزف!

وفي لحظة ولادة الجنين...

انطفأ النور تماماً، وسمع عمر صوت الشيخ هارون يهمس في عقله قائلا :

(الآن يا عمر.. استعمل التراب الأحمر.. حرر حنجرتك وانطق بالحق، حتى لو تمزق جسدك!)

الحلقة السابعة: صرخة الفناء

كانت الغرفة تضيق، والجدران التي امتصت صرخات المرأة الصامتة بدأت تنبض بشكل مقزز، كأنها "أمعاء" وحش هائل !

وكانت المرأة تتلوى على الأرض، وعيناها جاحظتان نحو سقف الغرفة حيث تشكلت سحابة من الدخان الأسود الكثيف- من بقايا تجسد "أبا ميسور" !

وسعير كانت تقف بجانبها، تمسح على بطن المرأة بيدين طويلتين مشوهتين وهي تغمغم بلغة لا تشبه لغات البشر!

لغة كانت أشبه بصوات (النقر) و(الاحتكاك).

وفى نفس الوقت كانت تنظر إلى عمر بعينين يملؤهما الشماته قبل أن تقول:

(انظر.. الصرخة التي ستخرج الآن لن تكون صرخة حياة، بل ستكون (الكلمة الأولى) في قاموس مملكتنا الجديدة...

وبمجرد أن يلفظها هذا الصغير، ستتلاشى حنجرتك تماما وتصبح جزءاً من العدم يا عمر.)

شعر عمر بالتوتر ، فأصعب إحساس حقا هو أن تواجه الخطر ولا تستطيع حتى الكلام .. الصراخ ..أو حت الرفض !

فجأة ...

تذكر عمر كلمات الشيخ هارون الأخيرة...

فمد يده المرتعشة إلى الحقيبة الجلدية، واستخرج زجاجة "التراب الأحمر".

كان التراب يبدو وكأنه ذرات من المرجان المطحون، ينبعث منه وهج خافت !

فتح السدادة، وبدأ يلطخ رقبته بالتراب فوق علامة (+).

وبمجرد ملامسة التراب لجلده ، شعر بنار تحترق داخل عروقه !

كان الأمر أشبه بصب رصاص مصهور في حنجرته...

سقط على الأرض يتلوى، والدموع تنهمر من عينيه، لكنه لم يستسلم.

كان عليه أن ينطق... ليس بأي كلام، بل كان عليه أن يخرج "صوتاً حراً" يكسر صمت "بني الأبكم".

وضع أصابعه داخل فمه، وبدأ يلمس ذلك النسيج الغريب الذي نبت في الداخل !

شعر بوجود "خيوط" سوداء تربط لسانه بسقف حلقه !

كانت الخيوط قوية كأوتار العود، وكلما حاول قطعها بيده، شعر بآلام تمزق قلبه !

وفي تلك اللحظة بالتحديد ...

خرج المولود...

لم يكن طفلاً طبيعياً أبدا !

كان جسده مغطى بطبقة من مادة سوداء لزجة، ولم يبكِ !!

فبدلاً من البكاء كأى طفل صغير في نفس عمره، فتح فمه الصغير بشكل مبالغ فيه، وبدا وكأنه يمتص الهواء من الغرفة بقوة عجيبة !

لحظات مرت حتى بدأت الغرفة تخلو من الأكسجين، وبدأ رجال النجع الواقفون في الخارج يسقطون واحداً تلو الآخر وهم يمسكون برقابهم.

(يا اللهى !! .. يبدو أن المولود كان يسرق "أنفاس" الأحياء ليصنع صرخته الأولى!) – قالها عمر لنفسه

فضحكت سعير بانتشاء، ثم رفعت الطفل عالياً نحو الدخان الأسود وقالت :

(تكلم يا سيد الأزمان.. تكلم ليخرس العالم!)

حينها وفى لحظة يأس مطلقة...

استجمع عمر كل إرادته...

تذكر وجه أمه، تذكر كلماتها التي كانت تحذره من هذا البيت...

وتذكر تضحية الشيخ هارون...

ثم ضغط على حنجرته بكل قوته حتى تفجر الدم من بين أصابعه!

وبصوت مفعم بالألم وكأنه خرج من قاع روحه صرخ:

(يااااااااااااا الله!)

كانت الصرخة قوية لدرجة أن زجاج النوافذ في النجع بأكمله تحطم في لحظة واحدة !

والتراب الأحمر على رقبته اشتعل بضوء أبيض مبهر!

والخيوط التي كانت تربط لسانه تمزقت مسببة جرحاً غائراً في فمه !

تلك الصرخة لم تكن مجرد صرخة عادية ومعتادة ...

لقد كانت أشبه بـ"موجة طاهرة" اصطدمت بالدخان الأسود ومزقته !

أما المولود الذي كان بين يدي سعير بدأ يذوب كالشمع المحترق !

وسعير نفسها طارت للخلف لتصطدم بالجدار وتتحول إلى كتل من الرماد المتناثر !

وبعدها مباشرة ...

ساد سكون مفاجئ ومرعب...

والمرأة التي وضعت المولود اختفت وكأنها لم تكن موجودة من الأساس !

ولم يبقَ في الغرفة سوى عمر الذي كان يلهث والدم يغطي صدره.

نظر من النافذة المحطمة ليرى مشهداً تقشعر له الأبدان...

القمر فوق نجع الغريب لم يعد نحاسياً، بل صار بلون الدم القاني !

والبيوت الطينية بدأت "تذوب" في الأرض وكأن القرية بأكملها كانت مجرد وهم بناه الجن !

فجأة ...

سمع صوتاً يأتي من الحقول المحيطة...

صوت آلاف الكائنات التي بدأت تزحف نحو البيت !

لقد فشل طقس "الولادة"، لكن ...

"بنو الأبكم" لم ينتهوا... لقد غضبوا.

والآن... هم قادمون ليأخذوا القربان بالقوة !

وفى تلك اللحظة ...

تراءى له طيف الشيخ هارون عند باب الغرفة...

كان جسده شفافاً ومليئاً بالجروح، فأشار لعمر نحو "السلم السري" في ركن الغرفة وقال:

(المعركة لم تنتهِ يا عمر.. الصرخة فتحت لك طريقاً، لكنها كشفت مكانك لـ (أبا ميسور) شخصياً...

ارحل نحو (مقبرة الغرباء) يا ولدى، هناك يرقد السر الذي أخفاه جدك عن الجميع..

السر الذي سيحرق اللعنة من جذورها.)

حمل عمر حقيبة الشيخ هارون، وربط على جرح رقبته بوشاحه، ثم انطلق وهو يركض في ممرات البيت التي بدأت تتداعى...

بينما كانت الظلال السوداء تخرج من تحت البلاط لتمسك بقدميه !

الحلقة الثامنة: مقبرة الغرباء

خرج "عمر" آخيرا من البيت الملعون متخطيا تلك الظلال السوداء بصعوبة والدم يقطر من رقبته الممزقة!

دم لم يكن دماً عادياً، كان دماً مختلطاً بذرات التراب الأحمر، يضيء في الظلام كالحمم البركانية !

وخلفه، كان البيت يهتز بعنف، وأصوات ارتطام الأثاث بالجدران توحي بأن "أبا ميسور" يصب غضبه على الفراغ الذي تركه عمر للتو !

ركض عمر وسط حقول الذرة...

لكن النباتات لم تكن خضراء!

كانت السيقان سوداء متفحمة، وأوراقها حادة كالأمواس تشق ثيابه وجلده كلما مر بينها.

كان يسمع خلفه صوت الزحف ، صوت آلاف الأجساد التي تجر أطرافها على الأرض!

وصوت أنفاس ثقيلة لا تخرج من صدور، بل كأنها تخرج من شقوق في الأرض !

(لا تنظر خلفك يا عمر.. إن نظرت، ملكوا بصرك كما ملكوا نطقك!) - تردد صدى صوت تحذير الشيخ هارون في عقله.

حينها كان عمر يتجه نحو الشمال، حيث تقع "مقبرة الغرباء"، وهي بقعة مهجورة من الأرض لا يقربها أهل النجع، يُدفن فيها من ماتوا بلا هوية، أو من طُردوا من رحمة القرى المجاورة !

وبعد مرور عدة دقائق ...

وصل عمر إلى حدود المقبرة، حيث توقفت الأصوات خلفه فجأة !

ساد صمت غريب، وبرودة تجمدت معها قطرات الدم على رقبته !

كانت المقبرة عبارة عن شواهد حجرية محطمة،غارقة في ضباب كثيف يزحف فوق الأرض كأنه كائن حي!

وفي وسط المقبرة كان هناك كوخ صغير مبني من عظام الحيوانات وجذوع الأشجار الميتة.

وأمام الكوخ جلس رجل ضخم الجثة، يرتدي ثياباً مصنوعة من جلود الماعز، ويمسك بيده "فأساً" ضخمة عليها كتابات غريبة باللون الفضي !

لم يتحرك الرجل حين اقترب منه عمر، بل قال بصوت عميق كأنه يخرج من بئر:

(لقد تأخرت يا حفيد الساحر... كان من المفترض أن تأتي وأنت تحمل الصندوق، لا وأنت تحمل جرحاً ينزف وهجاً.)

وفى ظل دهشة عمر من الراجل الذى أمامه حاول الكلام، لكن ألمه كان يمنعه.

فأشار الرجل إليه بالجلوس ، تخطى عمر دهشته وتوتره فأي كان ما سيحدث لن يكن أشد رعبا مما حدث له منذ قدومه لتلك القرية الملعونه .

فقال الرجل الغريب :

(أنا (عزّام).. حارس هذه المقبرة، والمطرود من قبيلة (بني الأبكم) لأنني أحببتُ ابنة من بنات آدم...

جدك لم يكن ساحراً بالفطرة، بل كان رجلاً طماعاً، سلبني أختي (سعير) ليحبسها في جدران بيته، مقابل أن يعطوه سراً يجعله أغنى أهل الأرض.)

حينها صُدم عمر...

وقال في قرارة نفسه :

("سعير"؟! ... اذن فهذا الـ "عزام" من الجن أيضا !

ألهذه الدرجة كان جدى شيطانا ؟ - للدرجة التي يختطف فيها جنية واستخدامها في صفقة مظلمة ؟!)

فأردف عزام وهو يشحذ فأسه:

(الجن لا يخونون عهودهم، لكن البشر يفعلون...

وقبيلتى لم تغدر بجدك ، بل جدك هو من غدر بهم، وحبس لسان ملكهم (أبا ميسور) في صندوق الأبنوس ليتحكم فيهم ، لكنه لم يدرك أن اللسان له إرادة !

اللسان هو الذي أكل روح جدك من الداخل، وهو الذي ينتظر الآن أن يبتلعك أنت لتكتمل دورة الانتقام .)

فجأة...

اهتزت الأرض تحت أقدامهم !

بدأت القبور المحيطة تتشقق وخرجت منها رؤوس شاحبة، لكنها لم تكن جثثاً !

كانت "أشباح الغرباء" الذين سجنهم الجد منصور هنا ليكونوا حراساً لسرّه !

(اسمع يا عمر..) - قالها عزام بحدة وهو ينهض، ثم أردف قائلا :

(أبا ميسور يقترب، وهو لن يأتي وحيداً ، لقد جمع كل ضحايا عائلتك من الأجيال السبعة المنصرمة...

السر الذي تبحث عنه مدفون تحت (شاهد القبر المكسور) في الزاوية الشرقية...

هناك يرقد (قلب العهد) !

تمثال صغير مصنوع من الطين والزئبق.

إذا حطمته، انفرط عقد القبيلة، لكن الثمن سيكون حياتك أنت.. لأن قلبك مرتبط بقلب العهد.)

في تلك اللحظة...

انشق الضباب ليدخل منه جيش من الظلال السوداء ، في مقدمتهم كان "أبا ميسور" يتجسد في هيئة عملاق يرتدي ملابس جده منصور له وجهه كان عبارة عن عين واحدة ضخمة تتوسط جمجمة بشرية!

وهجموا على عمر وعزام !

كان عزام يلوح بفأسه ، ومع كل ضربة كانت تطلق شرارات من النور تحرق الكيانات السوداء.

أما عمر، فقد زحف نحو الزاوية الشرقية، باحثاً عن الشاهد المكسور الذى أخبره عنه عزام للتو.

لكن ما يحدث في تلك اللحظة كان أكثر غرابة ...

فأثناء زحف عمر كانت الأرض تتحول تحت يديه إلى مادة سائلة تحاول ابتلاعه !

وصل آخيرا إلى الشاهد بعد معاناة ، وبدأ يحفر بيديه العاريتين حتى تكسرت أظافره وسال دمه على التربة. وأخيراً...

لمست أصابعه شيئاً صلباً..

كان تمثالاً صغيراً لرجل مقيد بالسلاسل، صُنع بدقة مرعبة !!

بمجرد أن أمسك عمر التمثال، صرخ "أبا ميسور" صرخة زلزلت أركان النجع:

(اتركه أيها التافه المأفون! ... إذا حطمته ستموت صامتاً ولن يعرف أحد مكانك!

عد إلينا وسنعطيك نطق الملوك وسلطان الأرض!)

نظر عمر إلى التمثال، ثم نظر إلى عزام الذي كان يصارع مئات الكيانات ليحميه...

ثم اتخذ قراره...

رفع التمثال عالياً ليهوي به فوق حجر المقبرة !

الحلقة التاسعة: نحر الظل

هوى عمر بالتمثال الطيني فوق حجر الشاهد المكسور بكل ما أوتي من قوة ...

وفي اللحظة التي تفتت فيها الطين الممزوج بالزئبق، لم يحدث انفجار مدوٍ فحسب !!

بل حدث ما هو أكثر رعبا...

لقد ساد صمت مطبق لثانية واحدة، كأن العالم قد توقف عن الدوران، ثم انطلقت صرخة مكتومة من صدر عمر نفسه !!

شعر عمر بقلبه وكأن يداً خفية تعتصره بشدة !

سقط على الأرض، والتمثال المحطم ينزف مادة سوداء تشبه القطران !

وفي تلك اللحظة...

بدأ جسد "أبا ميسور" العملاق يتداعى !

والدخان الأسود الذي يشكله بدأ يتطاير كرماد في ريح عاصفة...

الوجوه البشرية التي كانت تسكن جسد الكيان بدأت تنفصل عنه وهي تصرخ صرخات الحرية، قبل أن تتلاشى في الضباب...

لكن...

"أبا ميسور" لم يختفِ تماماً !

لقد تحول للتو إلى كتلة صغيرة من السواد المطلق، واندفع نحو عمر كالسهم، وهو يزمجر:

(حطمتَ سجننا.. لكنك فتحتَ جسدك لتكون البديل!)

وقبل أن يلمس السوادُ جسد عمر، انشق الضباب عن هيئة نورانية شاحبة !!

كان الشيخ هارون، لكنه لم يعد بشراً !

كان يرتدي ثياباً من نور أبيض، وجراحه التي أصيب بها في السرداب تضيء كأنها نجوم !

وضع يده الشفافة على صدر عمر، فتشكل درع من الضوء صدّ هجوم أبا ميسور !

(الشيخ هارون؟!) - حاول عمر النطق بها فخرجت بصعوبة ممزوجة بدم يسيل من فمه.

(لا تخف يا بني) - قالها هارون بصوت يبدو وكأنه يأتي من كل الجهات !

ثم أردف قائلا :

(لقد عبرتُ البرزخ من أجلك وعدتُ لأتمم المهمة... تحطيم التمثال لم ينهِ اللعنة، بل (حررها) من القيد المكانى المتمثل في التمثال !

الآن اللعنة تسكن في دمك، وعليك أن تقرر أين ستذهب بها.)

وفي تلك اللحظة...

ظهرت "سعير" مرة أخرى!

لكنها لم تكن هذه المرة تحاول أن تهاجم عمر !!

كانت تبكي دماً أسودا !!

وخلفها تجسدت امرأة أخرى، كانت فائقة الجمال لكن ملامحها تتغير باستمرار ، وكأنها انعكاس فوق ماء مضطرب !

فنظر عزام إلى الأرض بإنكسار وحسرة ثم قال:

(أمي..)

كانت المرأة الآخرى هي "الزوجة غير البشرية" لمنصور الحسيني!

ملكة من قبيلة الجن المطرودة...

تقدمت نحو عمر الذى تجمد في مكانه رعبا ورهبة ولمست وجهه وقالت :

(أنت ولدي بالدم لا بالرحم يا عمر .. لقد غدر بي منصور كما غدر بأبا ميسور...

وجعل مني ومن قبيلتي عبيداً لنسله ، وأخذ أبنتى سعير وجعلها خادمة وأسيرة لعهد مظلم ...

أنت لست بشراً كاملاً يا عمر، ففي عروقك تجري دماء (بني الأبكم) التي ورثتها مني...

لهذا السبب استطعتَ النطق بالكلمة المقدسة دون أن تموت.)

حينها وفى تلك اللحظة...

أدرك عمر الحقيقة المرة!!

فالصراع هذه المرة لم يكن بين "خير وشر" مطلقين!

بل كان صراعاً على "السيادة"!

قبيلة الجن كانت مغدورة! ... كانوا يريدون فقط استعادة ملكتهم ولسان ملكهم !!

والجد منصور كان يستخدم السحر الأسود لاستعباد الطرفين...

فجأة...

تحول وجه "الأم" الجميلة إلى ملامح قمة في الرعب قبل أن تقول :

(والآن يا عمر، بما أنك حطمت القيد.. أعطنا الدماء التي تجري في عروقك...

نحتاج لقلبك ليعود أبا ميسور إلى عرشه تحت الأرض!)

وفى تلك اللحظة ...

انقضت الأم وسعير وأبا ميسور - المتمثل في كتلة من السواد المطلق - في آن واحد على عمر.

أنتفض عزام محاولاً الدفاع عمر، لكن قوته كانت تتلاشى أمام ملوك قبيلته !

والشيخ هارون رفع يده وهم لمساعدة عمر، لكن "مقبرة غرباء" كانت عبارة عن بقعة مشبعة بالظلم، مما قوى شوكة الكيانات المظلمة.

(عمر! ... ارحل من هنا!) - صرخ بها هارون وهو يتلاشى تحت وطأة الهجوم المظلم !

ثم أردف قائلا :

(ارحل إلى (بئر القربان) في وسط النجع...

هناك فقط حيث تلتقي خطوط الأرض، يمكنك إنهاء هذا العبث...

يجب أن تسكب دمك الهجين في البئر لتغلق البوابة للأبد!)

فركض عمر وسط صرخات الجن وضجيج المعركة الروحية خلفه !

كان يشعر بجسده يثقل، وبدأ شعره يتساقط، وجلده يتلون باللون الرمادي!!

كان يتحول تدريجياً إلى "جني أبكم" مثل نسله الملعون !!

نسله الذى لم يختاره قط ، ولم يكن يعلم عنه أي شيء !

وصل آخيرا إلى حافة النجع...

ليجد أهل القرية جميعاً يقفون في انتظاره حول البئر المهجورة...

كانت عيونهم جميعا تشع باللون الأحمر، وكانوا يمسكون بسكاكين حجرية قديمة !

(أهلاً بك يا ملكنا الجديد) - قال ذلك العجوز عمدة النجع عند رؤية عمر !

ثم أردف قائلا : (البئر جائعة.. وأنت تحمل المفتاح في عروقك.)

الحلقة العاشرة: بئر القربان

كان "عمر" لا يزال واقفا أمام بئر النجع القديمة، تلك التي كانت تبدو في صغره كفتحة عادية في الأرض لكنها الآن كانت تبدو كحنجرة أرضية واسعة مستعدة لابتلاع السماء !

وحول البئر لازال أهل "نجع الغريب" مصطفين في دوائر منتظمة، يرتدون أثواب بيضاء ملطخة بالطين، وجوههم ممسوحة الملامح تماماً وكأن جلودهم قد نُبتت فوق أعينهم وأفواههم !

كان الصمت هنا ثقيلاً...

صمتاً له "طنين" يمزق الأعصاب !

تكلم "العجوز" عمدة النجع مرة آخرى لكن هذه المرة لم يعد له صوت بشري، بل كان يتحدث عبر حركة أصابعه التي ترسم رموزاً في الهواء !!

فتترجمها عقل عمر مباشرة ورغما عنه وكأنه يعلم تلك الإشارات منذ نعومة أظفاره :

(يا حفيد الغادر.. الأرض لا تقبل إلا من يشبهها...

لقد سكنتَ بيته، ولبستَ لعنته، والآن حان الوقت لتسدد الدين..)

في تلك اللحظة...

ظهر الشيخ "هارون" بجانب البئر!

لكن هيئته النورانية التي رآها عمر في المقبرة كانت تتلاشى، ليظهر من تحتها وجه "منصور الحسيني"!

تجمدت الدماء في عروق عمر!

(جدي منصور؟) - همس بها عمر بصوت متهدج.

ضحك الجد بصوت يجمع بين وقار المشايخ وخبث الشياطين ثم قال :

(هارون كان مجرد قناع يا عمر.. رجل دين طيب صدقتَه لتمشي خلفه إلى حتفك...

نفس اللعبة من قديم الأزل لازال الجميع يقعون في براثنها ...

اللعب على وتر الدين والعاطفة البشرية ، تلك نقطة الضعف البشرية الأزلية !)

عاد ليضحك مرة آخرى بضحكات هيستيرية شيطانية ثم أردف قائلا :

(أنا الذي صنعتُ هارون في خيالك لتصل إلى هنا...

أبا ميسور وقبيلته ليسوا أعدائي، هم مجرد أدوات بيدى سخرتهم لارادتى ...

أنا لم أمت يا عمر، أنا انتقلتُ فقط من مجرد جسد متهالك إلى (فكرة) تسكن عقولكم.)

حينها ...

أدرك عمر الخديعة الكبرى التي وقع فيها، فالجد منصور لم يكن ضحية للجن، بل كان هو الظالم المستبد الذى أرتدى ثوب "السيد" ليسخر قبيلة بالكامل من الجن لتنفيذ مخطط شيطانى خطط فيه منصور لخلود جسدي عبر أحفاده !!

كان يرتب لحدوث كل تلك الأحداث لعمر ليمر بكل تلك الأهوال، لكي "ينضج" دمه بالخوف والألم، فيصبح وعاءً كافياً لاستيعاب روحه – روح الجد نفسه !!

(والآن..) - صرخ بها الجد بصوت هارون – ثم أردف قائلا :

(اقفز في البئر يا عمر... لا لتنتحر، بل لتتحد بـ (الرصد) القابع في القاع...

هناك ستجد لسان أبا ميسور بانتظارك وبمجرد أن يلمس دمك الهجين، سأعود أنا من خلالك...

شاباً، قوياً، وملكاً على الإنس والجن.)

في تلك اللحظة...

بدأ أهل النجع يقتربون من عمر، يدفعونه نحو حافة البئر...

كان يشعر وكأن هناك قوة مغناطيسية تجذبه للقاع...

نظر حوله بيأس فوجد "عزام" الحارس يقف بعيداً، مقيداً بسلاسل من الدخان الأسود، وعيناه تفيضان بالدموع...

(عمر! .. اقلب الطقس!) - صرخ بها عزام بصوت مكتوم

ثم أردف قائلا :

(لا تسكب دمك لها .. اسكب دمك (عليها)!)

وعلى الرغم من أن الكلمات تبدو غريبة ، وقد لا يفهمها الشخص العادى !!

الا أن لغة هؤلاء القوم كانت بالنسبة لعمر سهلة الفهم لدرجة تثبت أنه بالفعل من نسلهم !

فعلى الفور أخرج عمر سكيناً صغيراً كان قد أخذه من حقيبة هارون (المزيف)...

وبدلاً من أن يقفز أو يهاجم الجد، قام بفعل غير متوقع...

جرح يده بعمق، وبدلاً من سكب الدم في البئر وضع يده على "الأرض" خارج حدود الدائرة الملعونة!!

وبدأ يكتب بدمه اسم "أمه" بالدم – ملكة قبيلة بنى الأبكم - التي غدر بها الجد.

((نـــائـــــلـــــــة))...

لقد مده عزام بأسمها لكسر الطقس في اللحظات الآخيرة...

وبمجرد أن أنتهى عمر من كتابة الاسم على الأرض بدمه، اهتزت الأرض بزلزالاً مدمراً!!

انشقت البئر، ولم يخرج منها لسان أبا ميسور، بل خرجت منها "يد عملاقة" - يد الأم التي سُجنت في أعماق البئر !

صرخ منصورالحسينى بذعر قائلا :

(لاااااا! ... هذا ليس جزءاً من العهد! ... أنت تدمر كل شيء!)

لكن عمر استمر في النضح بدمه، وهو يقول بلسان لم يعد أبكماً بعد:

(العهد بُني على الغدر، وبالعدل يُهدم... يا أمي بالدم .. استردي أمانتك!)

خرجت الملكة "الأم" من البئر بجمالها المرعب...

لكن هذه المرة كانت محاطة بآلاف الأرواح التي غدر بها منصور...

التفتت نحو منصور الحسينى الذى كان لازال في هيئة هارون وأمسكت برقبته...

فبدأ جسده يتفكك !!

ويظهر من تحته جوهر منصور الحسيني المظلم، وهو يتوسل الرحمة...

(الرحمة لمن يستحقها فقط ... أما أنت فلك الخلود في السعير تحت وطأة من ظلمت) - قالتها الملكة بصوت يزلزل الجبال.

ثم ...

سحبت الملكةُ منصوراً وهبطت به إلى قاع البئر، ومعها كل "بني الأبكم" الذين كانوا مسخرين لخدمته...

وفى تلك اللحظة ...

انفجرت البئر بموجة من النور الأبيض...

وقُذف عمر بعيداً ليرتطم بالأرض بقوة ليغيب عن الوعى...

وقبل أن يفقد وعيه تماما كان يرى أهل النجع يسقطون كالجثث الهامدة بعد أن تحرروا من المسّ !

الحلقة الحادية عشر: تراتيل جبل الموتى

وبعد مضي وقت غير معلوم...

استفاق "عمر" والسكينة تملأ الأجواء بشكل مريب !!

نجع الغريب الذي كان يضج بصيحات الجن وطقوس السحر، أصبح الآن صامتاً صمت القبور!

لكنه صمت "مريح" هذه المرة...

الشمس بدأت تشرق آخيرا ، لكن خيوطها كانت تبدو باهتة وكأنها تخشى ملامسة هذه الأرض الملعونة!

نهض عمر فلاحظ أن جسده لم يعد يرتجف، لكن علامة (+) في حنجرته تحولت إلى ندبة بيضاء بارزة.

نظر إلى يده التي جرحها ليكتب اسم الملكة الأم ، كانت وللغرابة الشديدة قد التأمت تماماً، لكن الجلد حولها أصبح شفافاً كزجاج المصباح، يظهر من تحته نبضٌ أزرق غامض !

(لقد غادروا.. لكنهم تركوا أثرهم فيك كوشمٍ لا يُمحى.) - كان هذا صوت "عزام".

الذى كان يجلس خلف عمر، ويحمل في يده بقايا فأسه المحطمة جراء المعركة.

هذه المرة بدت ملامحه أكثر إنسانية، لكن عينيه كانتا تحملان حزن آلاف السنين !

(إلى أين نذهب الآن يا عزام؟) - سأله عمر وصوته كان يخرج برنيناً معدنيٍ غريب!

أجابه عزام وهو ينظر نحو الأفق البعيد، حيث تلوح قمم "جبل الموتى" ثم قال :

"البئر أخذت منصوراً وملك بنى الأبكم، لكن (بذور العهد) لا تزال منثورة...

هناك شخص واحد لم يذكره جدك ، شخصٌ هرب من لعنة العائلة واعتصم بهذا الجبل منذ أربعين عاماً.. إنه ... عمك صالح الحسيني.)

صُدم عمر... ففي سجلات العائلة الرسمية، كان "صالح" قد قُيد كمتوفى في حادث غرق وهو في العشرين من عمره ، ثم أردف قائلا :

(عمي صالح؟! ... هل هو على قيد الحياة؟!)

(ليس حياً بالمعنى المعروف..) - قالها عزام بمرارة، ثم أردف :

(لقد حبس نفسه في (خلوة) فوق الجبل، يمارس طقوس الصمت ليمنع الدم الهجين من التفجر في عروقه... هو الوحيد الذي يعرف كيف ينزع (الوشم الأزرق) من جسدك قبل أن يكتمل تحولك.)

فنظر عمر نحو الجبل ثم قال :

(حسنا ... فلنصعد اليه اذن)

وبدأت رحلة الصعود...

كان الصعود ورغم كونه متعب للغاية ، الا أن ما لفت انتباه عمر هو هيئة الجبل نفسه !!

فالجبل لم يكن صخوراً ورمالاً كأي جبل عادى ، بل كان يبدو وكأنه "جسد متحجر"!

وكانت الكهوف تشبه أفواهاً مفتوحة للصراخ، والصخور تشعر وكأن لها ملمس الجلد البشري !

وكلما توغلا في الصعود، كان عمر يشعر بضغط هائل على صدره!

فجأة...

بدأت مشاهد لذكريات غريبة ليست له تهاجم عقله!!

وكأن الجبل يبثها له ليعرف تاريخ عائلته الملعون !

رأى منصوراً وهو يذبح القرابين، ورأى الملكة الأم وهي تبكي داخل البئر.

ثم وفى تلك اللحظة...

بدأت الأحجار الصغيرة تتدحرج حولهم وتصدر أصواتاً تشبه ضحكات رفيعة !

(لا تلتفت لأصوات التابعين) – قالها عزام وهو يحذر عمر – ثم أردف قائلا :

(هؤلاء هم بقايا جيش أبا ميسور الذين لم يسحبهم السرداب...

هم الآن بلا سيد ويبحثون عن (سيد جديد) يتبعونه...

وأنت ... بدمك الملكي، ضالتهم المنشودة.)

أستمع عمر لنصيحة عزام ، ولم يلتفت لتلك الأصوات الى أن مرت أكثر من نصف ساعه...

وصلا آخيرا إلى فتحة كهف ضيقة توقف عندها عزام ...

كان يصدر من داخلها بريق ضوء شموع خافت وتفوح منها رائحة "بخور الصندل "...

فأقترب عمر من فتحة الكهف فرأى في نهايته رجل يجلس في وضعية الجنين، شعره أبيض طويل يغطي جسده النحيل كأنه كفن !

كان الجدار خلفه مغطى بآلاف الخطوط التي حفرها بأظافره!

فدخل عمر ومن خلفه عزام ، وبمجرد دخولهما رفع الرجل رأسه...

(ياللهول !!) – قالها عمر في قرارة نفسه - فلم يكن للرجل أعين!!

فقد كانت مكان عينيه "خياطة" متقنة بخيوط من الحرير الأسود !

(لقد شممتُ رائحة منصور في دمك يا ولد.. فهل جئتَ لتتم ذبحي، أم جئتَ لتطلب التوبة؟) – قالها الرجل كان صوت هادئاً كجريان الماء، لكنه هز كيان عمر...

نظر الى عزام وقلبه يحدثه بأن ذلك الرجل هو عمه صالح بنظرة استفهامية يشوبها الشفقة والحنين...

فأشار له عزام برأسه مؤكدا له بأنه هو بالفعل ...

فأرتمى عمر عند قدميه بلهفة وقال:

(جئتُ لأتحرر.. جئتُ لأنهي ما بدأه منصور.)

تحسس صالح وجه عمر بيديه المرتعشتين، ثم توقف عند رقبته، وبالتحديد عند الندبة البيضاء...

(يا ويحي.. لقد وضعوا فيك (بذرة الصدى)...

فان أكتمل تحول وصرختَ صرخة واحدة ، سيهتز الجبل ويفيق الموتى من رقادهم...

منصور لم يرد جسدك فقط، بل أراد (صوتك) ليكون بوقاً لنهاية العالم.)

صمت صالح لبرهة ، بدا فيها انه يفكر ، أو يسترجع شيء ما من ذاكرته ...

ثم...

(لابد من التطهير... ليس أمامنا الكثير من الوقت ، يجب أن أحرق "الوشم الأزرق" من الداخل) - قالها صالح وهو يمسك بمجمرة صغيرة بها جمر يتقد بلون بنفسجي براق !

ثم أردف قائلا بلوعة :

(لكن لكل شيء ثمن للأسف ... والثمن هو أنك لن تستطيع العودة لعالم البشر بطبيعتك كما كنت...

ستعيش في "المنطقة الرمادية" بين العالمين ...

ترى ما لا يراه الناس، وتسمع ما يخشاه الجن...

فهل أنت مستعد لتعيش في عالم يشبه البرزخ لكنك فيه حرا متحركاً؟)

تفاجأ عمر من كلمات صالح ، فكلامه خطير للغاية وكلا الخيارين صعب للغاية!

وبالأخير النتيجة واحدة... لقد أنتهى أمره !

لكن ...

قلبه أختار الخيار الآخر...

فخير له أن يضحى بنفسه ويعيش كروح هائمة بين العالمين من أجل حماية البشرية من هذا الشر المحدق ،على أن يموت أو يتحول لمسخ ملعون من صنيع جده...

لكن فجأة ...

وقبل أن يجيب عمر بخياره الذى أختاره ، اهتز الكهف بعنف !!

وظهرت "سعير" مرة أخرى عند المدخل، لكن هذه المرة كانت كيان وكأنه ممزق !!

بنصف جسد والنصف الآخر دخان أسود متلاشٍ !

كانت تحمل في يدها "مرآة منصور" التي تحطمت في البيت ،عادت الآن سليمه كأن لم يمسسها شيء !

(لن ترحل يا عمر.. إذا تطهرتَ، فمن سيحمل ذكرياتنا؟ من سيعطينا الحياة في هذا العالم ؟) – قالتها سعير- ثم أندفعت على الفور نحو عمر، لكن عزام اعترض طريقها بفأسه المحطمة...

وفي تلك اللحظة...

تحين صالح تلك اللحظة ووضع الجمرة المشتعلة على ندبة رقبة عمر...

فصرخ عمر صرخة سُمِعت في أعماق الأرض كزئير أسد جريح...

الحلقة الثانية عشر: كِيُّ الروح

حين وضع صالح تلك الجمرة البنفسجية على رقبة عمر، لم يشعر عمر بحرق الجلد فحسب، بل شعر وكأن "صاعقة من البرق" قد صعقته ونفذت من حنجرته ليستقر في سويداء قلبه !

كانت الصرخة التي أطلقها صرخة هزت أركان الكهف، وجعلت الشموع تنطفئ وتشتعل في آن واحد بإيقاع مجنون !

فرأى عمر عروقه الزرقاء وسط نوبات الألم، وهي "تغلي" تحت جلده الشفاف !

والمادة السوداء التي استقرت في دمه بدأت تتبخر وتخرج من مسامه على هيئة دخان له صوت!

صوت صراخ ضحايا جده منصور...

كانت "بذرة الصدى" التي وضعوها فيه تقاوم...

تتشبث بأوتاره الصوتية كأخطبوط يرفض ترك فريسته !

(اثبت يا ولد !) - صاح بها صالح وهو يضغط بالجمرة أكثر- ثم أردف قائلا :

(إنها تنتزع روحك القديمة لتصنع منك رجلاً جديداً.. لا تستسلم للظلام الذي أسكنوه فيك يا ولدى !)

وفي تلك اللحظة من الضعف الفائق...

انفتحت بصيرة عمر ليرى ما لا يستطيع بشري غيره رؤيته !!

وأول ما رأه هي ماخلف تلك الجفون المخاطة التي تغلق عيني صالح !

لم تكن عينا صالح مفقودتين كما كان يتوقع ، بل كانتا موجودتين وتشعّان بنور أخضر زمردي !

(لماذا خيطتَ عينيك يا عمي؟) - همس بها عمر محدثا نفسه - فوصل السؤال لصالح وكأن هنالك رابط غير مرئي نشأ من خلاله قناة للتخاطر العقلي بينهما .

فأجاب وهو لا يزال يمارس طقس الكي قائلا :

(خيطتهما لأنني رأيت وجه الحقيقة يا عمر...

رأيت أن عائلتنا ليست مجرد سلالة بشرية عادية ، بل كانت عائلة حاملة لأمانة وهبة وغدرنا بأمانتنا...

كان من المفروض أن تحمى هذا العالم وتمنع أي تجاوزات أو تواصل أو تخط للخطوط الحمراء سواء من عالم البشر على عالم الجن والعكس ، ولكننا تركنا الأمانة وقمنا بعمل كل ما هو ضد ما أمرنا به ...

خيطتهما لكي لا أرى إغواء الجن يا عمر بعدما أنحرف جدك منصور، ولكي أرى فقط النور الذي لا يخدع...

منصور أراد البصر ليحكم، وأنا اخترت البصيرة لأنجو.)

وفى تلك اللحظة ...

سعير التي كانت تحاول اختراق الكهف، بدأت تتشكل من جديد مستغلة الطاقة الناتجة عن عملية التطهير.

والمرآة التي تحملها بدأت تعكس صوراً مشوهة لعمر!

صوراً له وهو يرتدي تاجاً من العظام ويجلس على عرش من الجماجم في "نجع الغريب" !!

(عمر.. لا تتركنا!) - نادته سعير بصوت يقطر حزناً مزيفاً – ثم أردفت :

(صالح يريد أن يجعلك (خادماً) للنور، ونحن نريد أن نجعلك (سيداً) للظلام! ...

انظر الى المرآة.. انظر لقدرك الحقيقي!)

بدأت المرآة تجذب نظرات عمر بقوة غريبة !!

كان يرى نفسه فيها قوياً، بلا جروح، وبلا ألم...

كاد أن يستسلم ويمد يده للمرآة، لكن "عزام" اندفع بجسده الضخم ليكون حاجزاً بين عمر وبين المرآة.

(لا تنظر يا عمر! ... المرآة تسرق منك حقيقة حاضرك لتعطيك وهم الغد !) - صاح عزام وهو يشعر ببراثن سعير تمزق ظهره.

فجأة...

انشق سقف الكهف عن ضوء أبيض ليس له مصدر !

ساد صمت مطبق!

وتجمدت سعير في مكانها كأنها تمثال حجرى !

ومن وسط الضوء خرج كيان مهيب، لم يكن جناً ولا بشراً !

كان عبارة عن ميزان من نور، تحيط به هالة غير مادية من الهيبة ...

(انه "الناطق بالعدل" يا ولدى) – قالها صالح بسعادة غامرة

(أنا من استدعانى صالح بصمته الطويل وتضحيتك بدمك ياعمر ، أنا من أحضر لمن في قلبه النقاء) – رسالة وصلت لعقل عمر من ذلك الكيان المهيب ، رسالة لم تكن بلغة عادية ، بل أرسلت كموجة من اليقين لقلب عمر.

في تلك اللحظة بالذات...

تحطم "الوشم الأزرق" تماماً، وسقطت الجمرة من يد صالح بعد أن أتمت مهمتها...

ثم أندفعت من الكيان موجة نور أبيض نحو سعير ومرآتها، فتحولت المرآة إلى ماء، وذابت سعير وهي تطلق عويلها الأخير...

لم يكن مجرد عويل غاضب، بل كان عويل النهاية...

لقد انتهى دورها كخادمة للعهد الأسود الغادر... آخيرا .

استقرت الندبة على رقبة عمر، لكنها لم تعد تؤلمه...

أصبح لونها الآن بلون الجلد الطبيعي، لكنها "تنبض" بخفوت عند اقتراب أي خطر !

ثم...

قام صالح بما لم يتوقعه عمر أو يخطر حتى على باله...

لقد بدأ في فتح الخيوط التي خاط بها جفون عينيه ببطء، لينبثق منهما نور أخضر زمردى هادئ.

ثم نظر لعمر وقال:

"لقد تطهرت الأن يا بني.. لكن التطهير ليس نهاية المطاف...

وتذكر...أنت الآن (في المنطقة الرمادية) بين العالمين ترى ما لا يراه الناس، وتسمع ما يخشاه الجن...

ستعيش في عالم يشبه البرزخ لكنك فيه حرا متحركاً...

عليك العودة لـ (نجع الغريب) لتزرع في مكان البئر الملعونة (شجرة السدر)، ولتقرأ (كتاب الخلاص) الذي تركه هارون الحقيقي قبل أن يقتله منصور ويستخدم جسده...

يجب أن تُعيد الأرواح الهائمة لمستقرها، قبل أن يأتي (الناطق بالظلام) ليبحث عن لسان ملكه المفقود.)

(أين أجد كتاب الخلاص؟) - سأله عمر بقوة وثبات لم يعهدهما في نفسه.

فرد عليه صالح وهو ينظر في عينيه قائلا :

(إنه في مكان لم يجرؤ منصور على دخوله قط.. في (غرفة الولادة) حيث وُلدت أنت، خلف الجدار الذي سُقِي بدموع الملكة الأم.)

الحلقة الثالثة عشر : كتاب الخلاص

هبط "عمر" من جبل الموتى برفقة "عزام" الذي صار جسده يبدو أكثر شفافية، وكأنه يؤدي مهمته الأخيرة قبل التلاشي.

كان "نجع الغريب" غارق فى الضباب الأحمر القاني، والبيوت الطينية بدأت تتداعى وكأنها جثث قد جفت تحت الشمس.

لم يعد هناك صوت لحيوان أو طير، فقط حفيف الريح وسط أطلال بيت "الحسيني" الذي وقف شامخاً رغم الحرائق، كأنه ينتظر عودة صاحبه !!

وبمجرد وصوله لمدخل النجع، خرج له من بين الأنقاض بشر – وفى الحيقة حتى أكون أكثر تحديدا فهم بالسمات البيولوجية بشر بالفعل لكن بتصرفاتهم ومظهرهم كانوا بقايا بشر!!

كانوا أولئك الذين فقدوا عقولهم وأصبحوا يزحفون على أطرافهم الأربعة، يلطخون وجوههم بالرماد الأسود ويتمتمون باسم "منصور"!!

لقد تحولوا إلى مسوخ روحية، يتمسحون ويعبدون الشيطان الذى دمر حياتهم.

(لا تلمسهم يا عمر) - حذره عزام- ثم أردف قائلا :

(هؤلاء هم "المتروكون" ، عقولهم سُلبت وأرواحهم أسرت وبقيت أجسادهم تبحث عن سيد...)

مضت بضع دقائق حتى وصل عمر الى منزل منصور الحسينى ...

اقتحم عمر البيت متجهاً مباشرة إلى الطابق الثالث...

حيث "غرفة الولادة" ، تلك الغرفة التي شهدت صرخته الأولى و دموع الملكة الأم !

كانت الرائحة هناك لا تزال عالقة - رائحة الدم القديم المختلط بالياسمين المحترق...

فتذكر عمر كلمات صالح: "ستجد الكتاب خلف الجدار الذي سُقِي بدموع الملكة الأم ".

بدأ عمر يتحسس الجدران بيديه...

وفي زاوية مظلمة ، تحت نافذة مكسورة وجد موضع فى الجدار ملمسها بارد كالثلج رغم حرارة الجو !

وكان حول هذا الموضع آثار خربشة أظافر ناعمة...

وكأن امرأة كانت تحاول حفر مخرج لها لسنوات...

وبضربة قوية من فأس عزام المحطمة، انهار الجدار ليكشف عن فجوة سرية ضيقة...

وبداخلها ملفوفاً بقطعة من الحرير الأخضر، فكها فوجد "كتاب الخلاص"...

لم يكن كتاباً مطبوعاً، بل كان عبارة عن رقوق من الجلد الرقيق، مكتوبة بمداد من الزعفران الأحمر والملح لحمايته من عبث الجن والشياطين...

فتح عمر الكتاب بيدين ترتجفان...

تجاوز المكتوب فيه عن طقوس التطهير والتمائم، حتى وصل إلى الصفحة الأخيرة...

حيث كانت هناك رسالة موجهة إليه بخط "هارون" الحقيقي، ذلك الرجل الذي قتله جده منصور وانتحل شخصيته.

فبدأ يقرأ:

(أيها الهجين الوارث .. إذا وقع هذا الكتاب بين يديك، فاعلم أنك لست مجرد حفيد لمنصور...

الحقيقة التي أخفاها عنك هي أن والدك الذي ظننت أنه ابن منصور الذى مات، لم يكن مجرد بشراً عادياً.

والدك كان هو (منصور) نفسه...

أنت هجين بين بشر وجن، بذرة تكونت من دماء الشيطان منصور ودماء الملكة الأم ووضعت في رحم امرأة مسكينة ماتت عند ولادتك وصراخك لصرختك الأولى ...

أمك الحقيقية هي الملكة الأم لقبيلة بنى الأبكم ، وقد غدر بها منصور وحبسها بالبئر بعد بذلك بالعهد الملعون.)

سقطت الدموع من عيني عمر...

فبعد كل العذاب الذي مر به، وكل الرعب الذى عاش فيه ، كان مجرد مؤامرة !

مؤامرة من شخص من المفترض أنه أقرب شخص لديه ... أبوه !!

والغرض فقط استخدام جسده كوعاء ، واستغلال قوته التي نتجت من كونه هجين – نصفه بشري ونصفه جنى ذو دم ملكى !!

فجأة... اهتز البيت بقوة تفوق أي زلزال قد مضى...

وانشقت الأرض في وسط الغرفة، وخرج منها "دخان أرجواني" كثيف...

هذه المرة لم يكن أبا ميسور،كان كيان آخر يشبه عمر تماماً، لكنه بلا عيون، ويهمس بآلاف من الكلمات في آن واحد...

(انه "الناطق بالظلام" ، الكيان الذي حذرنى منه صالح) – قالها عمر لنفسه..

(أعطني الكتاب يا أخي) - قالها الكيان بصوت يشبه الصدى لكن لصوت عمرنفسه !!

ثم أردف قائلا :

(هذا الكتاب قادرعلى جعلنا أسياد هذه الأرض... لا تكن عبداً للصمت كصالح، كن سيداً معي!)

رفض عمر عرض الناطق بالظلام قائلا :

(لن أقبل بعرضك الملعون حتى وان أضطررت للموت)

فأبتسم الناطق بالظلام ، ثم بدأ يتمتم بكلمات لم يفهم منها عمر شيء...

فجأة ...

ومع كل تمتمة كان ينطقها كانت تتحول تلك التمتمة إلى "خنجر" من الطاقة يخرج من فمه يمزق الهواء متجها نحو عمر وعزام !!

تراجع عزام وهو يسحب عمر من يده ويصيح :

(اقرأ يا عمر! ... اقرأ من الكتاب! ... الكلمات التي فيه هي السلاح الوحيد!)

فتح عمر الكتاب على صفحة كان عنوانها "الخلاص" ...

فحدثه قلبه انها بالفعل طريقه للخلاص ...

وبدأ يقرأ بصوت عالٍ...

صوت لم يعد فيه نبرة الخوف، بل صار له رنين القوة :

(باسم الحق الذي لا يغيب، وبنور الصدق الذي يمزق الأكاذيب...

أردُّ الظلام إلى منبعه، وأغلقُ باب الشر بكلمة العدل!)

وفى تلك اللحظة ...

اندلع صراع ملحمى بين تلك الكلمات النورانية والتمتة المظلمة التي يطلقها الناطق بالظلام...

الجدران بدأت تتفتت...

وبقايا البشر في الخارج بدأت تصرخ وهي ترى البيت يتحول إلى منارة من النور الأبيض الذي يحرق كل ما هو مظلم وملعون...

وفي لحظة الذروة حاول الناطق بالظلام مد يده ليخطف الكتاب...

لكن عمر كان قد قرأ ملحوظة في مزيلة تلك الصفحة ...

ملحوظة تتكلم عن آخر خطوة لاتمام طقس الخلاص...

فنظر الى الناطق بالظلام ، ثم غرز يده في صدره!

ثم ردد قائلا بغضب : (أنت جزء مني..أنت ظلي الذي صنعه منصور، والآن أستعيدك لأكون كاملاً) !

الحلقة الرابعة عشر: قيامة العدل

حين غرز "عمر" يده في صدر (الناطق بالظلام)، لاكمال طقس الخلاص كما قرأه في الملحوظة لم يشعر بلحم أو عظم!!

بل شعر وكأنه يغمر يده في تيار من الكهرباء الساكنة!

في تلك اللحظة...

حدث "التحام"... أو " اندماج" على وجه التحديد...

كل الخوف، الغضب، والرغبة في الانتقام التي كانت تغذي الناطق بالظلام ، انصهرت مع النور الذي أصبح فيه منذ التطهير عند جبل الموتى...

فجأة...

تغيرت هيئة عمر، واستقامت قامته، وأصبحت عيناه تشعان ببريق هادئ يجمع بين زرقة السماء وعمق المحيط !

لقد أصبح الآن كيان آخر...

كيان يسمى في كتاب الخلاص بـ"الناطق بالحق" ...

ذلك الكيان الذي يملك الكلمة التي لا تُرد...

حينها...

سكن الضجيج في البيت، وتراجعت المسوخ البشرية وهي تنظر إلي عمر بمهابة لم تعهدها من قبل.

(لقد فعلتها يا عمر..) - همس بها عزام وهو يترنح- وقد بدأ جسده يتلاشى تماماً ...

ثم أردف قائلا باعياء :

(لكن .. منصور لم ينتهِ بعد .. روحه الملعونة التي سحبتها الملكة للبئر استطاعت الهرب عبر نفق الدماء - نفق قد حفره قديماً للهروب منه وقت الحاجة - وهو الآن في مقبرة الأجداد، يحاول فتح (البوابة الثامنة) ، لأن البوابة السابعة المتمثلة فيك أنت قد فشل فيها ، الملعون يحاول مد اللعنة للجيل الثامن وإذا فتحها، فلن يحتاج إليك أو إلى الجن، سيُطلق الجحيم نفسه على الأرض.)

فأنطلق عمر وعزام المتحامل على نفسه نحو مقبرة الأجداد - وهي بقعة محرمة تقع خلف نجع الغريب- حيث تُدفن سلالة الحسيني فقط.

كانت القبور هناك مرتبة على شكل "نجمة سباعية"!!

وفي مركزها ضريح ضخم مبني من الرخام الأسود...

وعند مدخل المقبرة، اعترض طريقهم كائنات ضخمة بلا وجوه، أجسادها مكونة من صخور المقبرة!

فنظر اليهم عمر مشدوها من أشكالهم ، فقال عزام :

(انهم جحافل الصمت .. حراس استدعاهم منصور في لحظاته الأخيرة...)

ثم أردف قائلا بنبرة شخص يلفظ أنفاسه الآخيرة :

(اذهب أنت يا عمر!...) ، ثم ألقي بفأسه المحطمة جانباً، وفتح صدره للرياح ثم صاح بما بقى فيه من قوة قائلا :

(أنا خادمُ الملكة، ومهمتي تنتهي هنا... سأشتبك مع هؤلاء الحراس لأفتح لك ثغرة...

لا تنظر خلفك، مهما سمعت من أصوات!... تحرررك !)

فجأة وبحركة انتحارية...

فجر عزام طاقته الروحية، ليتحول إلى إعصار من النار الزرقاء التي اشتبكت مع جحافل الصمت...

بكى عمر في صمت وهو يرى صديقه الوحيد يذوب ليفتح له طريقاً عبر الركام...

ركض عمر نحو الضريح الأسود، و "كتاب الخلاص" يضيء في يده كالجمر...

فتح الضريح ، ثم دخل اليه...

وبداخل الضريح كان "منصور" يقف بهيئة شبحية مرعبة...

لم يعد يشبه البشر، كان عبارة عن هيكل من الدخان يرتدي عباءة من جلود بشرية.

وكان يقف أمام فجوة في جدار الضريح ينبعث منها صوت عويل ملايين الأرواح المعذبة...

(جئتَ لتموت يا ولد؟) – قالها منصوروهو يضحك بصوت يشبه تكسيرالعظام- ثم أردف قائلا :

(هل ظننتَ أنك انتصرت علي عند البئر؟! ، أيها الغبي أنا من صنع البئر! .. أنا من سخر الجن! .. أنا الإنسان الذي تجرأ على ما خاف منه الشيطان!)

ثم رفع منصور يده، فخرجت من الفجوة سلاسل حديدية ملتهبة لتقيد عمر !

ثم قال : (أريد الكتاب يا عمر.. أريد قوته لأصبح السيد الجديد لهذا العالم الخرب!)

حينها ورغم السلاسل التي كانت تحرق لحمه، وقف عمر بثبات وفتح الكتاب ، ونظر في عيني منصور الخاويتين ثم قال :

(أنت لم تصنع شيئاً يا منصور.. أنت فقط قمت بكل ماهو خاطئ وممنوع في هذه الحياة وفرطتَ في الأمانة التي أمنت عليها ... واليوم حان وقت الحساب.)

حينها قلب عمر صفحات الكتاب سريعا حتى وصل لصفحة كتب عليها طقس "النحر الروحاني"...

وبدأ يقرأ ... ومع كل كلمة كان يلفظها، كانت السلاسل التي تقيده تذوب...

والضريح الأسود بدأ في التصدع...

(بحق الأمانة التي فرطت فيها.. وبحق الأرواح التي قتلتها..

وباسم النسل الذي لوثته.. أحكمُ عليك بالفناء الذي لا عودة منه!)

فجأة...

خرج من صدر عمر شعاع من النور الأبيض الصافي، اخترق قلب منصور الدخاني...

فصرخ منصور صرخة اهتزت لها الجبال، وبدأت الفجوة - البوابة الثامنة - تسحب روح منصور الملعونة للداخل.

حاول منصور التشبث بحافة البوابة، لكن "أيادي" ضحاياه خرجت من الظلام لتجذبه بقوة نحو الأعماق السحيقة...

وانفجر الضريح !!

ووجد عمر نفسه وحيداً وسط المقبرة المحطمة، والسماء فوقه بدأت تصفو لأول مرة منذ عقود...

لكن ...

الفرحة لم تكتمل !! .. ففي يده بدأ "كتاب الخلاص" يتآكل ويتحول إلى رماد !

وصوت خفي يهمس في أذنه قائلا :

(لقد أغلقتَ البوابة.. لكن الثمن لم يُدفع بالكامل بعد... الختم الأخير يحتاج لقلبٍ حي ليظل مغلقاً.)

الحلقة الخامسة عشر والأخيرة : الترنيمة الأخيرة

ساد صمتٌ جنائزي في "مقبرة الأجداد"...

وتحولت البوابة الثامنة من فجوة جحيمية إلى شقٍ بسيط في جدار الرخام المحطم،لكنه شقٌ ينبض ببرودة لا تنتمي لهذا العالم !

حينها كان عمر يقف وسط الحطام، يحمل في صدره قوة "الناطق بالحق" ...

وفي عقله ذكريات سبعة أجيال من العذاب...

رحل "منصور" هذه المرة إلى الأبد، لكن الفراغ الذي تركه كان يحتاج إلى "سدادة"!!

فالطبيعة لا تقبل الفراغ مطلقا ، والقوى التي استُدعيت لا يمكن إعادتها للقمقم دون قربان أخير!!

نظر عمر إلى رماد "كتاب الخلاص" المتطاير بين أصابعه، وأدرك أن المعرفة التي اكتسبها كانت هي الفخ الأخير..

فمن يعرف الحقيقة، بالتأكيد سيصبح هو حارسها !

وبينما كان عمر يلملم شتات نفسه...

ظهرت أمامه ثلاثة أطياف ... الشيخ "هارون" الحقيقي بوجهه النوراني، و"عزام" الذي استعاد هيئته الكاملة بعد تضحيته، وامرأة تفيض بالجمال والحزن – الملكة الأم.

(لقد كسرتَ القيد يا ولدي) – قالتها الملكة الأم بصوت يشبه حفيف الشجر- ثم أردفت قائلة :

(لكن نجع الغريب لا يزال ينضح بالسموم...البوابة الثامنة التي فتحها منصورلا تُغلق بمفتاح ...

بل تُغلق بـ "قلبٍ نابض" يختار البقاء في الظلمة ليحمي النور.)

تقدم الشيخ هارون وقال:

(عمر.. الخيار لك الأن... يمكنك أن تغادر وتعود لمدينتك، تنسى كل ما حدث وتترك النجع يغرق في جحيمه حتى يأكله النسيان ، أو....)

توقف الشيخ هارون قليلا ثم أردف قائلا :

(أو أن تقبل التكليف يا بنى.)

نظر عمر نحو "نجع الغريب"... فرأى المسوخ البشرية وهي تبدأ في الاستيقاظ من غيبوبتها ...

رأى الأطفال الذين سُرق نطقهم وهم يفتحون أعينهم بضياع...

فأدرك حينها أنه لو غادر فإن بقايا "بني الأبكم" ستعود لتتجمع حول هؤلاء الضعفاء !

(ما هو التكليف؟) - قالها عمر بثبات.

فأجاب عزام قائلا :

(أن تصبح أنت "الرصد الجديد"...

أن تعيش في هذا البيت، في هذا النجع، تعيش حرا طليقا في عالم يشبه البرزخ بين العالمين...

تمنع الظلال من العبور، وتمنع البشر من الطمع...

ستكون ملكاً بلا عرش، وصوتاً لا يسمعه إلا من ضل الطريق.)

مشى عمر بخطى وئيدة نحو وسط النجع، حيث بئر القربان التي جفت...

وأقتر من حافتها، وشق كفه للمرة الأخيرة...

قطرت دماؤه في قاع البئر، ومع كل قطرة كانت الأرض تنبت عروقاً من "شجر السدر" الأخضر الذي بدأ يتسلق الجدران ويغطي البيوت الملعونة...

ثم بدأ عمر يتمتم بكلمات لم يسمعها أحد غيره ، قد حفظها من "كتاب الخلاص" قبل احتراقه...

ومع كل كلمة، كانت ملامحه البشرية تزداد وقاراً وهيبة، لكن جسده بدأ يصبح نصف شفاف !

لقد اختار أن يكون "الحارس" !

وبعد أن انتهى وتوقف عن التمتمة، انطلقت موجة من النور الأبيض من قلب النجع، طهرت الحقول، وأعادت الروح للبيوت، ومحت علامات السحر من أجساد الناجين...

لكن ...

مع انطلاق هذا النور، اختفى عمر عن عيون البشر!

بعد مرور عام من هذه الواقعة...

وصلت سيارة فارهة إلى أطراف "نجع الغريب"...

خرج منها مستثمر يبحث عن شراء الأراضي المهجورة...

وكانت القرية حينها تبدو فاتنة، خضراء، وهادئة بشكل غريب!

حاول المستثمر الدخول إلى أكثر بيت لفت انتبهه ... بيت "الحسيني" القديم الذي صار مغطىً بالياسمين الأبيض.

وبمجرد أن وضع يده على المقبض، شعر ببرودة مفاجئة، وسمع صوتاً يهمس في أعماق عقله قائلا :

(ارحل.. فالأرض هنا لها ربٌّ يحميها، ولها صوتٌ يراقب صمتها.)

التفت المستثمر بذعر حوله ، فلمح خيالاً لشاب يقف فوق سطح بيت الحسينى !

وعيناه تشعان بنور هادئ، وبجانبه رجل ضخم يحمل فأساً، وذئب أبيض يلمع فروه تحت الشمس!

فركض المستثمر هارباً وأستقل سيارته ولم يعد أبداً.

وبداخل البيت...

جلس "عمر" في خلوة جده المضاءة بالشموع، يفتح كتاباً جديداً صفحاته بيضاء ليكتب فيه:

(أنا عمر الحسيني.. الناطق بالحق، والرصد الجديد...

بدأت قصتي بلعنة، وانتهت بعهد...

فمن طرق بابنا بالشر وجدنا جحيماً، ومن طرقه بالخوف وجدنا ملاذاً...

والآن.. ليكن الصمت هو لغتنا، والعدل هو ميزاننا.)

ثم أغلق عمر الكتاب، وانطفأت الشموع، وساد الصمت المقدّس في نجع الغريب.

.....تمت القصة.....

أحمد عصام أبوقايد – كاتب وروائي مصرى يأخذك في عوالم لا ترى بالعين، حيث يلتقي الغموض بالفانتازيا السوداء، والرعب بالرمزية التي تشد الأنفاس.

يأخذ قراءه في رحلات مشحونة بالغموض والرعب والتشويق الذي لا يهدأ حتى آخر صفحة.

<u>أعماله المطبوعة السابقة</u> :

العالم الموازي – رسائل من العالم الآخر – الكتاب الأسود – غضب القرين – ثلاثية المستبصر(العين الثالثة / النبوءة والمختار / المعركة قبل الأخيرة) – فرعونيزم

<u>كتب إلكترونية :</u>

حراس العهد – طفل الجان – الشخصية المحذوفة – الشخصية المحذوفة ٢ : تائه بين عالمين

أيوب وعهد بنى الهامس1 – أيوب وعهد بنى الهامس 2 – ختم أزار – نذير الدم : لعنة السبعة أجيال

تابع الكاتب وتواصل معه :

أحمد عصام أبوقايد : Facebook

Youtube :@ahmed.essam.abokayed

tiktok : @ahmed.essam.abokayed

instagram :@ ahmed.essam.abokayed